الفصل الثاني

أرآؤه الإصلاحية

المبحث الأول

ويتضمن على الموضوعات التالية:-

الإصلاح من الفرد إلى الجماعة:

- الإصلاح يبدأ من القلب.
- عمومية الإصلاح لجميع الفئات والطبقات.
- إصلاح الفرد في إطار الجماعة.

الإصلاح من الفرد على الجماعة

" لقد اختلفت مداخل الحركات الإصلاحية " فهناك من يعتقد أن اليقظة الإسلامية قد بدأت من منطلق ديني على يد " أحمد بن تيمية " بغية الإصلاح الديني وإرساء القواعد السليمة في المجتمع الإسلامي من شتى النواحي، سواء كانت اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية في إطار القرآن والسنة، هذه البداية هي التي أثمرت الدعوات الوهابية والمهدية والسنوسية لتشابه الظروف في البيئة الطبيعية والأمور الدينية والأحوال الاجتماعية والأوضاع السياسية التي عاشها المسلمون "[١] في الأقطار العربية الإسلامية تحت الحكم العثماني وما فرضه من عزلة وجمود فكرى ٠

ويلحق بركاب هذه الحركات: عبد الحميد الزهراوي وهو من زعماء النهضة في سوريا (١٨٧١ - ١٩١٦م) وجمال الدين الأفغاني، حيث أكدوا على أن الإصلاح الديني يتداخل مع السياسة تداخلاً عميقاً ٠

وإن كان هناك على الطرف الآخر- وهو طرف ضعيف- من يقول بعكس ذلك تماماً إذ " يقرر: أن الإصلاح يكمن في الدولة وليس عن طريق الدين "[٢] و" أن الإسلام دين لا دولة "[٣].

ومن جانب آخر يرفض بعض المصلحين اتخاذ السياسة طريقاً للإصلاح، لأن الإصلاح الفوقي الذي يبدأ من الحكومة تتولد عنه مشاكل لا حصر لها، وخاصة إذا كانت الآراء الإصلاحية لا تتوافق مع أهداف الساسة وتتعارض مع مطامعهم.

ومن هؤلاء الرافضين السير في أشواك السياسة ومداخلها النفاقية الإمام " محمد عبده

---

(١) د/ محمد ممدوح علي محمد العربي: الأخلاق والسياسة في الفكر الإسلامي والليبرالي والماركسي، ص١٣٩ الهيئة المصرية للكتاب -٢٠٠٦م بتصرف.

.(٢) المرجع السابق نفسه، صـ١٥٩.

(٣) المرجع السابق نفسه، صـ١٥٦.

" الذي صور السلطة بأنها آلهة الشر، فيقول: "وتمخضت السلطة لآلهة الشر، فقلبوا الطباع وبدلوا الخلق وغيروا خلق الله، وكانوا على ذلك قادرين " [١]

ولعل رفض محمد عبده للسياسة، هو الذي دعاه أن يتخذ من التربية وسيلة للإصلاح ويرفض أن يسير على درب أستاذه " جمال الدين الأفغاني " الذي أتخذ السياسة طريقاً للإصلاح بل إن الأفغاني رفض نصيحة تلميذه " الإمام محمد عبده " الذي عرض عليه أن يذهبا معاً إلى مكان بعيد عن متناول الحكومات المناوئة لإصلاح الشرق ونهضته، وأن يقيما مدرسة تربي القادة

والزعماء ودعاة الإصلاح، وأن يكون هذا هو سبيلهم لنشر دعوتهم للإصلاح والتجديد" [٢]

ولعلنا نلحظ التوافق الفكري بين الإمام محمد عبده والنورسي من حيث رغبة الأول في إقامة مدرسة تربي القادة ودعاة الإصلاح لنشر دعوة الإصلاح والتجديد.. ولكن لم يستطع تحقيق هذا الحلم، بينما الثاني (النورسي) استطاع أن يقيم مدرسة تربوية في كل مكان كان ينفي إليه أو يتم عزله فيه •

بل أن الواقع والحقيقة تقر أن النورسي أستطاع أن يجعل من السجن مدرسة تربوية ولعل طلابه ومريدية المنتشرين في جميع أنحاء العالم لنشر دعوة النور خير دليل على ذلك.. وعلى ضوء ما سبق يتضح أن قضية الإصلاح ومن أين يبدأ قضية شائكة لأي مصلح..

فهل يبدأ من الفرد، أم يبدأ من الجماعة، أم يتم الإصلاح من السياسة باعتبار: أن الإسلام دين ودنيا، أم أن الإصلاح يتمحور من خلال أن الدولة دنيا لا دين، وأن الإسلام دين لا دولة ؟..

وعلى أي حال فإن النورسي كان واقعياً وعملياً ومفكراً لماحاً وذواقاً، عندما أبتعد عن

---

(١) السيد يوسف: الإمام محمد عبده رائد الاجتهاد والتجديد،ص،٦٤ سلسة الفكر،الهيئة المصرية للكتاب،٢٠٠٧ م.

(٢)السيد يوسف:الإمام محمد عبده رائد الاجتهاد، ص٣٤،أنظر من المرجع نفسه، الفصل الثانى" مواقف سياسية ".

التخمينات والتفكيرات الخيالية ونزل بمنهج الإصلاح إلى أرض الواقع، فوجدها غير مشدودة الانجذاب لإتجاه الإصلاح من ناحية السياسة..، فولي بوجهه وثاقب فكره وبمنهجه شطر الإصلاح للفرد " فالفرد الذي له نظر عام وشعور كلي، هو الذي يصلح أن يكون المخاطب للصانع الجميل والماثل في حضوره، ذلك لأنه يصرف كل نظره العام وعموم شعوره الكلي إلى التعبد لصانعه، وإلى استحسان صنعته وتقديرها، وإلى شكر آلائه ونعمه..

فالبداهة يكون ذلك الفرد الفريد هو المخاطب المقرب، والحبيب المحبوب "[1]

لقد أدرك النورسي أن ميدان الجهاد بالنسبة له قد أنحصر في تربية نفوس الأفراد على الإيمان وغرس القيم..

" تربية تجعل الإنسان إيجابياً، يعيش في حركة فكرية ونفسية وجسدية بناءه بعيداً عن السلوك التخريبي..

تربية تؤهل الإنسان للعطاء، وتنمي فيه القدرة على الإنتاج والإبداع بما تفتح له من آفاق التفكير والممارسة..

تربية تعد الإنسان إعداداً إنسانياً ناضجاً لممارسة الحياة بالطريقة التي يرسمها ويخطط أبعادها الإسلام، لأن الحياة في نظر الإسلام: عمل، وبناء، وعطاء، وتنافس في الخيرات...،.

تربية تجعل الشخصية الإسلامية متزنة، لا يطغي على موقفها الانفعال ولا يسيطر عليها التفكير المادي ولا الانحراف الفكري المتأتي من سيولة العقل وامتداد اللامعقول.

تربية تبني الإنسان على أساس وحدة فكرية وسلوكية وعاطفية متماسكة على أساس من التنسيق والتوافق الفكري والعاطفي والسلوكي الملتزم الذي لا يعرف التناقض ولا الشذوذ.

تربية تجعل الإنسان يشعر دوماً أنه مسئول عن الإصلاح، وأنه يجب عليه أن ينهض

---

(١) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ترجمة إحسان قاسم، صـ٢٥٢.

بمسئوليته ويقود نحو شاطيء العدل والسلام.

ومما يكاد أن يكون معروفاً، أن أخطر ما تتعرض له الأمة هو هدم شخصيتها الإسلامية هدمًا عقدياً، وثقافياً، وسلوكياً، وعاطفياً.

ولعل طبيعة الهدم لم تنشأ إلا من جراء إنهدام الشخصية الإسلامية، وما أعقب ذلك من غياب الروح الرسالية التي تتدفق بالحركة نحو الكمال وتشع بالرشد والهداية ٠

ولهذا نجد أن الإمام النورسي ينكب على إملاء رسائل النور على طلابه ومحبيه لتضع العلامات المضيئة في الطريق لتكون الكلمة أداة بناء تساهم في صنع الخير وإشاعة الود والمحبة بين الناس "[1].

" ويضع النورسي منهجاً لا بد لكل مصلح أن يلتزم به... وهو: أن يبدأ المصلح بإصلاح نفسه أولاً فيقول: (من لا يصلح نفسه لا يمكنه إصلاح الغير) علينا أن نرشد أنفسنا ثم نرشد غيرنا ٠

وثانياً: أن يكون مراد المصلح من الحركة الإصلاحية الإيجابية، وأن يكون الشخص المصلح مرآة للإسلام دون حجاب أو ستر لنور الإسلام ٠

ولهذا ينادي النورسي بالتمسك بالأخلاق الإسلامية قائلاً: لو تمسكنا بالأخلاق الإسلامية وأظهرنا بأفعالنا هذه الكمالات لدخل أتباع سائر الأديان الإسلام أفواجاً ٠

ويرفض النورسي الحركات الثورية (التخريبية) لأنها تضر بالإسلام والمسلمين من نواح شتي، لأن الإسلام مؤسس على القلوب (النقية)، والحركات الثورية تؤسس نظاماً ظاهرياً ولا تصل إلى القلب ٠

ويؤكد النورسي " أن الغلبة على المتمدنين هي بالاقتناع، وليس بالإجبار كما هو شأن المتوحشين " ويوصي المصلحين بترجيحهم منهج الاقتناع والإثبات دائماً، فأن الإسلام لا يقبل النفور والعداوة والهجوم، ولا يحتاج إليها لأنه نور وانتشار نوراني أيضاً...

---

(١) أ.د / أحمد عبد الرحيم السايح: النورسي وأثره في ترسيخ الإيمان،ص٥٨- ٦٠ أعمال مؤتمر٩٢، سوزلر،القاهرة

وكان النورسي يعارض القائلين بأن الحركة الإصلاحية لا تتحقق إلا بالقوة المادية، فإن الحركة المعنوية وإرشاد أفراد المجتمع وتنويرهم هو من أهم الحركات، لأن الحركات الثورية - على الأكثر - تضر الأبرياء من النساء والأطفال وغيرهم "[١]

ويتضح لنا أن النورسي يسير على المنهج الإسلامي المعتدل الصحيح الذي بذر به حضرة "النبي صلى الله عليه وسلم" بذور التوحيد الحكيم، فسيطر على القلوب والعقول بمنهجه الإصلاحي القويم الذي أرساه رب العالمين في كتابه الكريم {ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ }[٢]

ولعل النورسي يصف لنا علاج ما نئن منه في عصرنا الحالي نتيجة بعض الخلايا السرطانية المتمثلة في بعض المخربين المأجورين الذين ينتسبون إلى الدين إنتساباً شرفياً ويتلبسون بلباس الكلمة العفيفة ويتخفون بها، ألا وهي "مصلح" و"مجاهد" وهم في الحقيقة أبعد الناس عن هذه الكلمات، لأنه زُج بهم لينفذوا أغراض الحاقدين تحت شعار الدين، فأساؤا بهذا إلى هذا الدين السمح وشوهوا صورته وحملوا السلاح وقتلوا به إخوانهم من الأبرياء المسلمين بل وكانوا سبباً لجلب الهم والغم متمثلاً: في أعداء الإسلام لنسف ومسخ العقيدة وسلب خيرات ومقدرات الشعوب المسلمة .

فيا ليتنا نعود إلى نهج الإسلام، لنظهر إلى العالم بأسره وجه الإسلام السمح الجميل ليدخلوا في دين الله أفواجاً.

الإصلاح يبدأ من القلب:-

" يهدف بديع الزمان في أول الأمر إلى إصلاح الفرد، ويعتقد أن التخريب قد بدأ في القلب ولهذا يلزم البدء بإصلاح القلب، ويؤكد ويفيد بأن الحركات الإصلاحية التي لا تستند إلى إصلاح القلب صعب جداً الحصول منها على نتيجة "[٣].

---

(١) د/ سمير محمد رجب:الفكر الادبى والدينى عند النورسي،١٩٣، ١٩٤. بتصرف.

(٢) سورة النحل: آية رقم (١٢٥)

(٣) د/ سمير رجب: الفكر الأدبي والديني عند سعيد النورسي، صـ١٩٣.

عمومية الإصلاح لجميع الفئات والطبقات:-

بدأ النورسي بتوجيه النصح إلى نفسه أولاً: فيقول " إني أخاطب نفسي في نصائحي لأني أرى نفسي أحوج الناس إلى النصيحة "[١]

ثم يتدرج النورسي بعد ذلك بدعوته الإصلاحية لجميع فئات الشعب، أطفالاً، وشباباً، وشيوخاً ونساءاً، بل وحتى المسجونين، ولم تقتصر دعوته الإصلاحية على طبقة الفقراء دون الأغنياء

أو الموظفين البسطاء دون المسئولين الكبار، ولكن شملت دعوته جميع الطبقات.

والنورسي في دعوته الإصلاحية يوجه دعوته للفرد باعتباره إنسان دون النظر إلى فئته أو طبقته إلا في أسلوب المخاطبة، مبيناً لهذا الإنسان وظيفته وأنه: " أرسل إلى الدنيا ضيفاً وموظفاً ووهبت له مواهب واستعدادات مهمة جداً، وعلى هذا أسندت إليه وظائف جليلة.

ولكي يقوم الإنسان بأعماله وليكد ويسعى لتلك الغايات والوظائف العظيمة، فقد رُغِب ورُهِب لإنجاز عمله "[٢]

كما نرى النورسي يستخدم في دعوته الإصلاحية الأدوات التي تناسب كل فئة أو طبقة، وإن كان الأغلب استخدامه لأدوات يقوم بترويضها وصياغتها ليجعلها تناسب جميع الفئات والطبقات .

فنراه مثلاً: يستخدم عقيدة الآخرة مبيناً ضرورة هذه العقيدة لحياة الإنسانية ولاسيما الاجتماعية وأنها أُس الأساس لحياة الإنسان الاجتماعية والفردية، وأساس جميع كمالاته ومثله وسعادته .

ثم نراه يخاطب الأطفال قائلاً: " إن الأطفال الذين يتمثلون نصف البشرية لا يمكنهم أن يتحملوا تلك الحالات التي تبدوا مؤلمة ومفجعة أمامهم من حالات الموت والوفاة إلا

---

(١) د/ سمير رجب: المرجع السابق نفسه، صـ٢٢٢.

(٢) بديع الزمان النورسي، الكلمات، صـ٣٧١.

بما يجدونه في أنفسهم وكيانهم الرقيق اللطيف من القوة المعنوية الناشئة من الإيمان بالجنة، ذلك الإيمان الذي يفتح باب الأمل المشرق فيحاور الطفل المؤمن بالجنة نفسه..

إن أخي أو صديقي الذي توفى أصبح الآن طيراً من طيور الجنة... فلولا هذا الإيمان بالجنة لهدم الموت الذي يصيب أطفالاً أمثاله تلك القوة المعنوية ولحطم نفسياتهم.

ويستخدم النورسي عقيدة الآخرة كذلك كأداة إصلاحية لترسيخ الإيمان والقيم في نفوس الشيوخ الذين لا يجدون الصبر والسلوان من قرب انطفاء شعلة حياتهم العزيزة عليهم إلا في الإيمان بالآخرة، حيث أن ذلك الإيمان يجعلهم يقابلون اليأس القاتل الأليم الناشيء من الموت والزوال ويصبرون عليه بالأمل في الحياة الآخرة، ولولا هذا الأمل وهذا الإيمان لتحولت حياتهم سجناً مظلماً رهيباً.

وينتقل النورسي بعقيدة الآخرة كأداة إصلاحية لغرس حقائق القرآن والفضائل في نفوس الشباب فيقول: " إن الشباب والمراهقين الذين يمثلون محور الحياة الاجتماعية لا يهدي فورة مشاعرهم، ولا يمنعهم من تجاوز الحدود إلى الظلم والتخريب، ولا يمنع طيش أنفسهم ونزواتها، ولا يُؤمن السير الأفضل في علاقاتهم الاجتماعية إلا الخوف من نار جهنم، ولولا هذا الخوف لحولوا الدنيا إلى جحيم، ولحولوا الحياة الإنسانية السامية إلى حياة حيوانية سافلة.

وينتقل النورسي بعقيدة الآخرة كأداة إصلاحية إلى الحياة العائلية، والتي هي مركز تجمع الحياة الدنيوية ولولبها، وهي جنة سعادتها وقلعتها الحصينة، وملجأها الأمين، وأن بيت كل فرد هو عالمه ودنياه الخاصة، فلا سعادة لروح العائلة إلا بالاحترام والإيثار والوفاء والرأفة والرحمة والتضحية، ولا يحصل ذلك إلا بالإيمان بوجود علاقات صداقة أبدية ورفقة دائمة ومعية سرمدية في زمن لا نهاية له "[1].

ولقد شملت دعوته الإصلاحية حتى المسجونين، فما من سجن إلا وحوله إلى مدرسة إصلاحية طيبة مباركة يشع فيها النور ويفوح منها أريج القرآن، فها هو يخاطبهم قائلاً:

---

(١) بديع الزمان النورسي: الكلمات، صـ١٠٤، ١٠٥.

" إخوتي المسجونين الأعزاء الجدد والقدامى:- لقد بت على قناعة تامة من أن العناية الإلهية هي التي ألقت بنا إلى هنا، وذلك لأجلكم أنتم، لبث السلوان والعزاء الذي تحمله رسائل النور إليكم، وانتشال حياتكم المليئة بالأحزان والهموم من العبثية وعدم الجدوى.. وإنقاذ أخرتكم من أن تكون كدنياكم حزينة باكية.

فما دامت الحقيقة هي هذه.. فعليكم أن تكونوا إخوة متحابين كطلاب النور" [1].

ولقد كان النورسي يقوم بإرسال الرسائل نيابة عنه لتقوم بدورها الإصلاحي، فمثلاً: رسالة " الثمرة " و " مرشد الشباب " وهي رسائل إصلاحية للشباب ليشمروا عن ساعد الجد ويدافعوا عن أنفسهم ودينهم، وأن يصونوا أنفسهم بالقرآن لكي يكون شباباً مسلماً رائداً حقاً.

أما رسالة الشيوخ: ففيها يبين أن تجلى الرحمة الإلهية يحول الحزن المؤلم في الشيخوخة إلى فرح مشرق، وأن الإيمان بالله وملائكته واليوم الآخر يمنح الأنس والسلوان.. الخ.

ثم يلي ذلك رسالة المرضى: وفيها يبين أن المرض مرشد ناصح ويعرفك بأسماء الله الحسنى وأن المرض يكفر الذنوب ويفجر ينابيع الدعاء.

ثم رسالة الحجاب: حيث بعث بها إلى النساء والفتيات لحثهن على ارتداء الحجاب والتزامهن العفاف، ثم رسالة " الطبيعة " وفيها يرد على الملحدين والملحدين.

وخلاصة القول أنه لم يترك باباً من أبواب الإصلاح، إلا وطرقه وفتحه، ولا عائقاً إلا وأزاله، كل هذا لترسيخ الإيمان ونشر حقائق القرآن حتى يعيش المسلمون في جو من الحرية، ويزداد الشعور الديني لدى الأفراد للوصول للمعرفة الحقة الخالصة من الشوائب.

" لقد سخر النورسي كل إمكاناته وإمكانات تلاميذه الذين أعدهم ورباهم للوصول إلى غرضه

الإصلاحي النبيل، وهو إنقاذ الإيمان في الأمة حتى تعود ثانية إلى بر الأمان تنعم بنور الإسلام"

---

(١) بديع الزمان النورسي: الكلمات، صـ١٧٠، ١٧١. باختصار.

وقد حفزهم (أي طلاب النور) لهذا الهدف السامي، فعرفهم بمهمتهم في الحياة، عملاً بمبدأ " أصلح نفسك وأدع غيرك " حيث قال: " فوظيفة كل طالب ليس هو إنقاذ إيمانه وحده، بل هو مكلف أيضاً بالحافظ على إيمان غيره، ولا يكون ذلك إلا بالاستمرار الجاد في الخدمة " (١)

وقال في أحد دفاعاته مبيناً هدفه الإصلاحي هو وطلاب النور:" نحن جماعة هدفنا وبرنامجنا إنقاذ أنفسنا أولاً، ثم إنقاذ أمتنا من الإعدام الأبدي ومن السجن البرزخي الانفرادي المؤبد ووقاية مواطنينا من حياة الفوضى والسفاهة ومحافظة أنفسنا بالحقائق القوية الفولاذية الواردة في رسائل النور من الإلحاد الذي يروم القضاء على حياتنا في الدنيا وفي الآخرة " (٢).

(١) بديع الزمان النورسي:الملاحق صـ٢٠٢ وانظر.د/ محمد فرج الوصيف – النورسي عصره ودعوته / صـ١٠٤.

(٢) بديع الزمان النورسي:الشعاعات، صـ٤٢٨.

إصلاح الفرد في إطار الجماعة

على الرغم من اهتمام النورسي بإصلاح عقائد الفرد المسلم وقيمه " من أجل أن ينشأ جيلاً واعياً مشبعاً بحقائق الإيمان، مستقلاً بالحمل الفادح، ثابت الوطأة، قائم الصلب، يملك الدنيا بيده ولا يدعها تلج إلى قلبه، يرى الاستشهاد في سبيل حقيقة من حقائق الإيمان شرفاً لا يعد له شرف "[١] إلى هذا الهدف الإصلاحي كان سعى واهتمام النورسي..

ولكن هذا لا يعني اهتمام النورسي بالفرد فقط، أو أن هذا الفرد يبدوا كجزيرة منعزلة ولكنه يهتم بالفرد في داخل سياقه الاجتماعي، لأن الفرد بمفرده لا يستطيع أن يواجه الزحف الإلحادي في تركيا، فقيمة الفرد بما يحمله من القيم المعنوية للجماعة.

ولذا فإن النورسي يركز اهتمامه أيضاً على الجماعة، لأنها هي التي تهب الفرد القوة المعنوية: " فهذا العصر هو عصر الجماعة لا الفرد، لأن الفرد مهما أوتى من قوة ودهاء - بل حتى لو كان في قوة مائة داهية - ولم يكن معبراً عن الشخصية المعنوية لها (أي للجماعة) فإنه مغلوب أمام الشخصية المعنوية المناوئة له "[٢]

ويدعوا النورسي إلى ضرورة اندماج الفرد داخل الشخصية المعنوية للجماعة، وينبغي أن يحمى فرديته داخلها " فهذا الزمان - لأهل الحقيقة- زمان الجماعة وليس زمان الشخصية الفردية وإظهار الأنانية، فالشخص المعنوي الناشيء من الجماعة ينفذ حكمه ويصمد تجاه الأعاصير فلأجل الحصول على حوض عظيم ينبغي للفرد إلغاء شخصيته وأنانيته "[٣]

ويؤكد النورسي على أنه كفرد رغم كل إمكانياته لم يكن يستطيع مواجهة الإلحاد بمفرده لأن طاقته ضعيفة، فلو لم يكن له تلاميذ ينسخون رسائله ويأخذونها من السجن لما أمكن لرسائل النور أن تنتشر في تركيا، فيقول النورسي: " هذا الزمان زمان الجماعة، فالأهمية والقيمة تكونان حسب الشخصية المعنوية للجماعة، وينبغي ألا تؤخذ بنظر

---

(١) أديب الدباغ - هوامش على فكر النورسي، ص ١٣، أعمال مؤتمر١٩٩٢، سوزلر، القاهرة.

(٢) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، صـ٥٦٧.

(٣) بديع الزمان النورسي: الملاحق، صـ١٦٣.

الاعتبار ماهية الفرد المادية الفردية الفانية "[١]

ولهذا فقد سعى النورسي إلى تذويب الفرد في إطار الجماعة، وقد أثمر سعيه هذا بتكوين جماعة موحدة، والتفاف طلاب حوله، واتسعت خدمته من يوم إلى آخر، إلى أن صار أتباعه يفوقون الحصر، وكان طريقه لتحقيق ذلك هو إرساء قيم الإخلاص وسحق الأنانية فيقول:

" أن طلاب رسائل النور الحقيقيين قد أذابوا أنانيتهم الشبيهة بقطع الثلج في الشخص المعنوي والحوض المشترك للجماعة، ولا يزعزعون بإذن الله في غمرة العواصف والأعاصير "[٢]

ويؤكد النورسي على ضرورة اتحاد الجماعة التي تدين بالإسلام ويسميها أهل الحق، لأن عصرنا هذا هو عصر الجماعة، فالفرد لا يستطيع الثبات أمام هجوم الضلال، لأن هذا الهجوم ينشأ من فكر جماعي، وسيقهر الفرد أمام هجوم الضلال لأنه هجوم جماعي " كما أن الفرد الواحد كثيراً ما يتهم بالنقائص بينما لا ينطبق هذا على الجماعة "[٣]

ويضع النورسي أسساً لوحدة الجماعة الإسلامية في العالم الإسلامي ككل، وبشتى مذاهبه ويسعى إلى درء الاختلاف بين المذاهب الإسلامية، وهذه الأسس كالتالي:

١- العمل الإيجابي البناء، وهو بمقتضى محبته لمسلكه من دون أن يرد لتفكيره عداء الآخرين.

٢- على المرء أن يتحرى روابط الوحدة الكثيرة التي تربط المشارب المعروضة في ساحة الإسلام والتي ستكون منابع محبة ووسائل أخوه واتفاق فيما بينهم فيتفق معها.

---

(١) المرجع السابق نفسه: صـ١٠٠.

(٢) بديع الزمان النورسي:الشعاعات، صـ٣٧٦.

(٣) د/ سمير رجب: الفكر الادبي والديني عند النورسي، صـ٢٢٦،٢٢٧. نقلاً من كليات رسائل النورللنورسي.

٣- العلم أن الاتفاق مع أهل الحق هو أحد وسائل التوفيق الإلهي وأحد منابع العزة الإسلامية.

٤- ترك دواعي الحسد والمنافسة والأحاسيس النفسية التافهة.

٥- ترك ما يتصور خطأ أنه من العزة والكرامة.

٦- اتخاذ دليل الإنصاف دليلاً ومرشداً، وهو أن صاحب كل مسلك يستطيع القول بأن مسلكي حق وهو أفضل وأجمل من دون أن يتدخل في مسالك الآخرين.

٧- ترك غرور النفس وحظوظها ".[1]

والحق أن هذه الأسس هي أحوج ما نحتاج إليه الآن لتحقيق الوحدة بين المسلمين والعالم بشتى فرقها ومللها ونحلها، ومن أجل تحقيق حلم المسلمين في لم الشمل وإنهاء حالة التشرذم.

رحم الله النورسي، ذلك المصلح الذي تجسدت في دعوته كل حركات التجديد والإصلاح....

وخلاصة القول:-

أننا أردنا أن نلفت (من خلال لمحة سريعة في البحث) النظر إلى آراء النورسي الإصلاحية والتي يتضح فيها أنه كان واقعياً وعملياً، ومفكراً لماحاً وذواقاً، حين جعل من أولى اهتماماته ومرتكزاته، إصلاح الفرد والجماعة، وهو ما يؤكد التوافق في الفكر والرؤى بين الإمام محمد عبده والنورسي، وابتعاد هذا التوافق مع جمال الدين الأفغاني.

وتتضح رؤية النورسي الرافضة للإصلاح الفوقي، الذي يبدأ من السلطة، لما سيتولد عنه مشاكل لا حصر لها، وخاصة إذا كانت الآراء الإصلاحية لا تتوافق مع أهداف ورؤى

---

(١) بديع الزمان النورسي: اللمعات، صـ٢٢٨،٢٢٩.

وأطماع الساسة وتتعارض معهم، وإن كان هذا لا يتنافى مع إسداء النورسي بالنصيحة للحكومة من أجل الإصلاح كما حدث حين ذهب إلى السلطان عبد الحميد لإنشاء جامعة الزهراء لنشر العلم وإزالة الجهل، وكما حدث حين ذهب إلى أنقرة وخطب في البرلمان ناصحاً أعضائه بالمواظبة على الصلاة.

ويسير النورسي في منهجه الإصلاحي على المنهج الإسلامي المعتدل الصحيح القائم على الإقناع والموعظة بالتي هي أحسن.

ويرفض النورسي منهج الحركات الإصلاحية الثورية (التخريبية) لأن ذلك يضر بالأبرياء من النساء والأطفال وغيرهم، ويؤيد الحركة الإصلاحية المعنوية التي تقوم على إرشاد أفراد المجتمع وتنويرهم.

كما نلفت في هذا البحث بلمحة، إلى المرتكزات والأسس التي ينطلق النورسي منها في حركته الإصلاحية، والتي يبدأها بإصلاح القلب، لقناعته أن التخريب قد بدأ في القلب، ثم يشرع إلى عمومية الإصلاح لجميع الفئات والطبقات من شيوخ ورجال ونساء وأطفال، وحتى المسجونين.

وعلى الرغم من اهتمام النورسي بإصلاح الفرد، فإن هذا لا يعني اهتمامه بالفرد فقط وكأنه جزيرة منعزلة، ولكنه يهتم بالفرد في داخل سياقه الجماعي.

ولعل الأهم، هو وضعه أسس لوحدة الجماعة الإسلامية والإنسانية في العالم، وهذه الأسس هي أحوج ما نحتاج إليه الآن لإرساء المحبة والأخوة والألفة، وإنهاء حالة التشرذم والصراعات.

المبحث الثاني

موقف النورسي من الفلسفة

ويشمل على ما يلي:-

موقف النورسي من التفكير الفلسفي.

القرآن والفلسفة.

الموازنة بين ثمرات القرآن والفلسفة.

أ- المعرفة.

ب- الكون.

ج- الإنسان " الفرد " و" المجتمع ".

موقف النورسي من الفلاسفة.

أ- فلاسفة الإسلام.

ب- الفلاسفة غير الماديين (الذين يسميهم الإشراقيون).

ج- الفلاسفة الماديون.

سعيد القديم الفيلسوف.

النورسي الحكيم .

موقف النورسي من الفلسفة

" مما لا شك فيه أن تنوع الفلسفات واختلاف مشاربها وتباين مراميها يعكس وطأة التيه الخانقة التي ظل العقل البشري يضرب فيها بحثاً عن معالم طريق يسكن إليه ويقر فيه قراره..

فلقد لبثت التسديدات التأملية تقلب النظر في هذا الاتجاه وفي ذاك نشداناً للحقيقة وطلباً للاستنارة التي تثوب بها السكينة إلى قلب المخلوق "[1]

" ولكن على الرغم من تعدد مشارب الفلسفة ومذاهبها فإنها اعتبرت دائماً وفي سائر العصور ميدان الشمولية المعرفية النظرية.

ورغم أن الفلسفة مراس فكري، وممارسة ثقافة الحيرة، وإدارة فعل التساؤل، إلا أنه من شأنها تحريك الذهن بما يُصدم من التساؤلات أن يزج بالعقل في غمار البحث والاستكشاف.

بيد أن الفلسفة ظلت عبر العصور – لاسيما العصر الراهن – تناهض المسلمات حتى في مضمار العلم الرياضي الدقيق وتسعى إلى تجاوزها •

ولذلك وبسبب خاصيتها الاستفزازية تلك فقد تناوشت مع الدين، بل وتعارضت معه في بناءات فكرية عديدة، ودخلت معه في علاقة عداء سافر، خاصة في العصور الوسيطة حين كانت الكنيسة تتعصب لفرض معتقداتها وحجب الرؤية عن أنظار الناس.

على أن الفلسفة الإسلامية استطاعت أن تتكيف مع الدين وأن تتماهى إلى حد ما في التوحيد ومع العصر الحديث تفاقمت زندقة الفلسفة المادية بعد ما رأت من غلبة واضحة للكشوف العلمية والرياضية، وقلبها للأطر والفرضيات والاستشرافات التي ظلت تنادي بها التعاليم الإنجيلية الأمر الذي جعل الفلسفة الوضعية تنحو منحى الثورة في رفضها للمعطي الديني، وفي تعاملها مع المقدس وفي بناء أخلاقياتها على مسطرة اللادين، وسنت خلقية غايتها استنقاذ الإنسان من الهوة العميقة التي ألقت به فيها المعرفة الكهنوتية (المغلقة).

---

(١) د. عشراتي سليمان: النورسي في رحاب القران، ص٢٢٩، ٢٣٠، بتصرف.

ولكن خطأ الفلسفة المادية أنها وجهت نقمتها على الروحيات، وهدمت المرتكزات الروحية التي ظلت الديانة المسيحية تسعى إلى أن تحافظ بها على تماسك الفرد والجماعة وتسلك بها في طريق السكينة، ثم بعد ذلك خطت خطوة مناهضة للمسلمات الكنسية عندما ألهت الإنسان وجعلت السيادة الكونية له، وأناطت به المستقبل والمصير..

والواقع أن ثورة الفلسفة على الرب – وسبحان الله عما يقولون – قد وقعت في شرك الروح الكتابية ذاتها ولم تخرج عنها، وذلك حين ناظرت بين الرب المهات على يدها (المسيح) وبين الإنسان المؤله علي يديها أيضاً(المسيح أيضاً) ذات الوازع العرقي، ذلك لان الإنسان المؤله لديها ليس هو الإنسان مطلقاً، ولكنه إنسان الاستعمار الفاتح الإمبراطوري "[1]

ولم تكن الساحة التركية إبان عصر النورسي في معزل عن طاعون الفلسفة الاستبدادية الإلحادية فسماء تركيا كانت تحمل سحباً بيضاء يظن من يراها أنها تحمل ماءاً، وهي في الحقيقة تحمل سماً ورياح زندقة تسوقها، وأرضها كانت مسرحاً لمختلف التيارات (الوافدة) الفلسفية والسياسية التي ظهرت في الغرب، من نظريات مادية وتيارات إلحادية وفلسفات طبيعية، وقد كان لكل ذلك تأثير سلبي على كثير من المثقفين الأتراك، الذين تبنوا تلك النظريات.. وبدأوا ينشرون الإلحاد والاستبداد ويدافعون عنه، مستندين إلى بعض من تلك النظريات الفلسفية الإلحادية "[2]

" وأهل الضلالة والإلحاد يستندون دائماً على الأسس الفاسدة للفلسفة الطبيعية المادية فيوهمون بعض المسلمين بأن لهم أسساً علمية يركنون إليها لصد حقائق الإسلام.

لذا نرى الرسائل تشن هجوماً عنيفاً وباستمرار على تلك الأفكار والكلمات والأسس الفاسدة التي يستند عليها الماديون الطبيعيون " لبيان أن ما سلكه أولئك الملاحدة الماديون من طرق ومناهج لا تعدوا أن تكون محض خرافة خرقاء ٠

ولا تكتفي الرسائل بإيراد بضعة أدلة، وإنما تسرد الدلائل تلو الدلائل وتعقبها بأمثلة

---

(١) د/ عشراتي سليمان:النورسي في رحاب القران،صـ٢٤٦،٢٤٧. بتصرف.

(٢) د/ أحمد محمد الجلي:أعمال مؤتمر العولمة والأخلاق في ضوء رسائل النور،ص٢٤٦، سوزلر،القاهرة.

غزيرة ومتنوعة حتى تبين بوضوح أن الطريق التي يسلكها المنكرون من المادين الطبيعيين هي بعيدة كل البعد عن المسلمات المنطقية والعقلية، بل تمجها العقول السليمة وأنها محض خرافة، وسلوكها في ذلك هو بخطوات منطقية عقلية، فمثلاً: جاء في مقدمة رسالة "الطبيعة": أيها الإنسان.. أعلم أن هناك كلمات رهيبة تفوح منها رائحة الكفر النتنة تخرج من أفواه الناس وترددها ألسنة أهل الإيمان دون علمهم بخطورة معنى ما يقولون، وسنبين ثلاثة منها هي الغاية في الخطورة:

أولاها: قولهم عن الشيء: " أوجدته الأسباب " أي أن الأسباب هي التي توجد الشيء المعين.

ثانيتها: قولهم عن الشيء: " تشكل بنفسه " أي أن الشيء يتشكل من تلقاء نفسه ويوجد نفسه بنفسه وينتهي إلى صورته التي انتهى إليها كما هي.

ثالثتها: قولهم عن الشيء: " اقتضته الطبيعة " أي أن الشيء طبيعي والطبيعية هي التي أوجدته واقتضته.

ثم تذكر الرسالة تلك المحالات، وتوضحها بأمثلة علمية سلسة متنوعة، حتى لا تذر غباراً للشبهة والوسوسة في القلب والعقل، وهكذا يلمس القارئ الأسلوب العلمي المنطقي الرصين

والمحاورة الهادئة الرزينة " [1].

ويلمس القاريء لرسائل النور أن الهجوم على الفلسفة في " رسائل النور" أخذ حيزاً كبيراً بحيث لا تكاد تخلو معظم الرسائل من وقوف مع الفلاسفة، داً على آرائهم أو مناقشة لأدلتهم أو مقارنة بين نظرتهم إلى الله والإنسان والكون.. ونظرة القرآن الكريم، وفي كثير من الأحيان يكتسي أسلوب الرد قوة بقدر ما نلمسها في سعة التحليل ومتانة الاستدلال، نجدها أيضاً في قساوة النعوت التي يستعملها النورسي لوصف الفلاسفة وتسفية آرائهم ومناهجهم، فهو في أحسن الأحوال يصفهم بأنهم " انحدرت عقولهم إلى

(١) إحسان قاسم: النورسي حياته وآثاره، صـ٢١٢،٢١٣. وأنظر اللمعات، اللمعة الثالثة عشر.

عيونهم "[١]

فلم يستطيعوا تجاوز حدود الحس ويصف فلسفتهم بأنها " طاعون معنوي حيث تسبب في سريان حمى مهلكة في البشرية عرضها للغضب الإلهي " [٢] وهي " تلوث " [٣] وتحجب عن الإنسان الإدراك السليم للحقائق إذ " تكل العقل وتعمي البصيرة " [٤] وهي " غول يريد أن يلتهم عقائد المسلمين"[٥] وهي " مصدر الجبروت، ووراء ظهور العقائد الطغيانية.. والانزلاق والتردي في هوة البغي "[٦] و " أوحال الطبيعة " وهي سبب في نفخ عروق الطغاة " وتهيجهم والأنانية "[٧] " حتى ساقتهم إلى دعوى الألوهية "[٨]

وهي في النهاية " فلسفة مبنية على أساس العبث في الوجود " [٩] لأنها " فلسفة عاصية للدين " [١٠] و" تافهة وصغيرة " [١١] ولأنها " وسيلة في تخريب الوجود الإسلامي وحل رقبة الإسلام على الأعناق " [١٢]..، إلى غير هذا من الأوصاف والنعوت..

إن هذه الصورة التي نصادفها في " رسائل النور " للفلسفة تجعلنا نتسائل عن موقف النورسي من التفكير الفلسفي ؟

فهل هو يرفض كل تفكير فلسفي لأنه نتاج العقل بحجة الإكتفاء بالنقل كما هو شأن

(١) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص٦٠١.
(٢) المرجع السابق نفسه، صـ٨٧٧.
(٣) المرجع السابق نفسه، صـ٤٥٣.
(٤) المرجع السابق، صـ ٥٧٧.
(٥) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص٢٦٧.
(٦)بديع الزمان النورسي: الكلمات.
(٧) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص٦٤٢.
(٨) المرجع السابق، ص ٦٤٣.
(٩) المرجع السابق، ص ٦٥٥.
(١٠) المرجع السابق، ص ٦٤٣.
(١١) المرجع السابق، ص ٤٠١.
(١٢) المرجع السابق، ص ٥٦٥.

الرافضين غالباً؟

أم أن هناك نوعاً معيناً من ضروب التفكير الفلسفي هو الذي يرفضه النورسي، وهو الذي قصده بالهجوم، ونعت أصحابه بتلك النعوت والأوصاف ؟..وهذا ما ستتحدث عنه فيما يلي.

موقف النورسي من التفكير الفلسفي

" التفكير الفلسفي ليس – كما يتصور البعض – احتكاراً للفلاسفة أو للمشتغلين بالفلسفة إذ أن الإنسان كإنسان يتميز عن غيره من الكائنات بعقل وهبه الله إياه ليفكر به، والتفلسف ليس شيئاً آخر غير استخدام هذا العقل، فالحيوان يرى ويسمع بل ويتذكر ولكنه لا يستخدم هذه القوى إلا في حاجاته الوقتية.

ومن الملاحظ أن الكثيرين يستخدمون في تعبيراتهم العامة كلمة (فلسفة) للتعبير عن اتجاهاتهم العامة فيقال مثلاً: فلسفتي في الحياة، أو فلسفتي في عملي هي كذا وكذا.. ويقنع الكثيرون بهذا الاستخدام السطحي للفظ الفلسفة، إما تجملا في الحديث، أو تظاهراً بالثقافة أمام الغير عن طريق استخدام كلمات مثل كلمة فلسفة...

وعلى هذا فإنه لا يوجد – في الغالب – إنسان لا يتفلسف، أو على الأقل فإن لكل منا في حياته لحظات يكون فيها فليسوفاً ينظر ويتأمل ويحاول الوصول إلى أعماق الأمور، وليست الفلسفة إلا نتاجاً للنظرة الفاحصة للعقل البشري إلى هذا الوجود.

وحقيقة العقل: أنه قبس من نور الله، أو كما يقول الإمام الغزالي " نموذج من نور الله " فكل عاقل من عامتنا إلى خاصتنا يتفلسف.. بدرجات متفاوتة، وإن كان البعض منا لا يريد أن يسلم بأنه يتفلسف، فالفلسفة في واقع الأمر ليست بالشيء الدخيل على الإنسان، فحياته حلقات متصلة من الفكر والتأمل.

وكهذا نجد أن الفلسفة نبتاً طبيعياً في المجتمع وظاهرة إنسانية ملازمة لوجود الإنسان، ولن تزول هذه الظاهرة من الحياة طالما كان هناك إنسان في هذا الوجود، فالفلسفة بالنسبة للإنسان أمر لا مفر منه...

ولكن عندما طغى على العقل التفكير المادي وأصبح للعلم نفوذاً لا يدانيه نفوذ، وفي الوقت نفسه خف وزن الحديث عن الروح، لم تسلم الفلسفة من الهجوم عليها من جبهات عديدة من حيث أنها في نهاية الأمر نبره روح أو نبضة عقل يحاول التخفف من أثقال المادة والنظر إلى الأمور بعين مجردة.

وهكذا أصبحت الفلسفة (التي هي نتاج العقل والفكر المادي) تثير شعوراً غريباً

بالنفور وشيء مبهم وغامض لا سبيل إلى فهمه، ولا جدوى من الاشتغال به، وقديماً قال أفلاطون: " إن الجمهور ميال لاعتقاد أن الفلسفة عديمة النفع " [١].

والنورسي كإنسان لا يرفض التفكير الفلسفي، ولكن كمسلم ورع يصوغ حياته وفق عقيدة سليمة صاغها رب العالمين، يرفض التفكير الفلسفي المادي الإلحادي الذي يعادي إنسانية الإنسان ويصوغ حياته في إطار " أنا " فيسقط في مهاوي أنا ويحبس نفسه وعقله وروحه داخل سجن الكون.

فالنورسي يميز بين التفكير الفلسفي المقبول، والتفكير الفلسفي المرفوض، وهذا التمييز وضحه بشكل مباشر من خلال جملة من النصوص وردت في رسائله، وأوضح فيها أن عداءه ورفضه إنما هو لنوع من أنواع هذا التفكير وهو (الفلسفة المادية) فيقول: " أما الفلسفة التي تهاجمها رسائل النور وتصفعها بصفعاتها القوية فهي الفلسفة المضرة وحدها، وليست الفلسفة على إطلاقها ذلك لأن قسم الحكمة من الفلسفة التي تخدم الحياة الاجتماعية والبشرية وتعين الأخلاق والمثل الإنسانية وتمهد للرقي الصناعي، فهي في وفاق ومصالحة مع القرآن، بل هي خادمة لحكمة القرآن، فلا تعارضها ولا يمكنها ذلك، لذا فرسائل النور لا تتصدى لهذا القسم من الفلسفة.

وأما القسم الثاني من الفلسفة: وهي التي أصبحت وسيلة للتردي في الضلالة والإلحاد والسقوط في هاوية المستنقع الآسن للطبيعة، فأنه ينتج كذلك السفاهة واللهو والغفلة والضلالة ويعارض الحقائق المعجزة للقرآن الكريم بخوارقه التي هي كالسحر ٠

لذا فإن (رسائل النور) تتصدى لهذا القسم من الفلسفة في أغلب أجزائها بنصبها موازين دقيقة وسوقها البراهين الدامغة فتصفعها بصفعاتها القوية في حين أنها لا تلتفت إلى القسم النافع منها ". [٢]

إذا فالفلسفة النافعة للبشرية لا يهاجمها النورسي، ولكنه يهاجم وينتقد الفلسفات المادية

---

(١) ا.د/ محمود حمدي زقزوق: (وزير الأوقاف المصري) مقدمه في الفلسفة الإسلامية، ص٧- ١٠ طبعة المعهد العالي للدراسات الإسلامية، القاهرة ٢٠٠٣.بتصرف

(٢) بديع الزمان النورسي: الملاحق، ص٢٨٦.

المعاصرة وإن كانت الفلسفات القديمة لم تسلم كذلك من هذا الهجوم، حيث يرى أن هذه الفلسفات خيرها قليل وشرها كثير ولعله بذلك يسير في ركاب السلف الذين انتقدوا الفلسفة اليونانية ونقدوا المنطق الأرسطي كآلة لهذه الفلسفة فيقول " إن الحكمة القديمة (الفلسفة القديمة) خيرها قليل وخرافاتها كثيرة حتى نهى السلف- إلى حد ما عنها- حيث الأذهان كانت غير مستعدة، والأفكار مقيدة والجهل مستولياً على العوام " [١]

وبالتالي فالنورسي يرى أن الفلسفة اليونانية خيرها قليل، وذلك لأن هذه الفلسفة كانت نتاج فكر مليء بالأساطير والخرافات والنزعات الوثنية.

ويمكن تفسير موقف النورسي الرافض للتفكير الفلسفي المادي الإلحادي، حتى لا يكون هذا التفكير(والذي مصدره العقل) آلة لتخبُط صاحبه في الضلالة والكفر والتعذيب إذ يقول:" إذا تخبط ذلك العقل في وحل الضلالة والكفر، فإنه يصبح آلة تعذيب، ووسيلة إزعاج بما يجمع من آلام الماضي الحزينة ومخاوف المستقبل الرهيبة " [٢].

كما أنه يرى أن التفكير المتسق مع الشرع وسننه يجلب لصاحبه السعادة ويصعد به للرقي المعرفي فيقول: " وشاهدت السنن كالجبال المتدلية من السماء، من أستمسك ولو بجزئي استصعد واستعد ورأيت من خالفها واعتمد على العقل (المادي) الدائر بين الناس كمن يريد أن يبلغ أسباب السماوات بالوسائل الأرضية فيتحمق كما تحمق فرعون بـ (ياهامان ابن لي صرحاً)" [٣].

ومن ناحية أخرى فإن النورسي يرفض التفكير الفلسفي المادي لأنه يثير القلق والارتياب والحيرة والدين وحده هو الكفيل بالإجابة عن كل سؤال يقذف به العقل..

وهذا ما سنتحدث عنه فيما يلي تحت عنوان...." القرآن.. والفلسفة "

---

(١) بديع الزمان النورسي: صقيل الإسلام، ص٤١.

(٢) بديع الزمان النورسي: الشعاعات، ص١٩٠.

(٣) بديع الزمان النورسي: المثنوى العربي، ترجمة إحسان قاسم، ص١٦٥، سوزلر، القاهرة

القرآن .. والفلسفة.

إن الاختلاف بين جوهر الفلسفة ومراميها، وبين روح القرآن ومقاصده يبتدي في طبيعة الصلة بين المصدرين وبين الوجود .

ويبتدي أيضاً في مستوى الحوار الذي يعقده كل منهما مع الكون وعناصره " فالقرآن يبحث عن معاني كتاب الكائنات ودلالتها، أما الفلسفة فإنها تبحث عن نقوش الحروف ووضعياتها ومناسباتها ولا تعرف أن الموجودات كلمات تدل على معان، فإن شئت أن ترى فرق حكمة الفلسفة وحكمة القرآن فراجع ما في بيان آية { وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا } "[1]

والفلسفة تثير السؤال بشكل دائم، وهذا يرسخ داخل الإنسان قلقاً مستمراً خاصة عند عدم الحصول على الإجابة على هذا السؤال، مما يصل بهذا القلق إلى حالة الاكتئاب، والدين وحده هو القادر على أن يطفئ هذا القلق ويهب الإنسان نوعاً من الطمأنينة و السكينة، فيقول النورسي: " إن القرآن وحده هو الكفيل بالإجابة عن الأسئلة التي تسألها الفلسفة، فالكائنات: ومن أين؟ وبأمر من تأتون؟ من سلطانكم ووليكم ؟ مما تصنعون ؟ وإلى أين تصيرون ؟

ولهذا تُذكر الكائنات في القرآن ذكر استطرادي لبيان طريق الاستدلال على الصانع الجليل"[2] ومن الخاصيات التوصيلية الأخرى التي يسجلها النورسي للقرآن العظيم مباشرته للمسلمات والبديهيات التي اعتادها الحس ودُرجت عليها مدارك الإنسان، إذا يستثيرها ويستحضرها ولكن بمقصد إعتباري تحسيسي، فإحالات القرآن المتواترة إلى الفضاء السحيق وما يعمره من سماوات وأرضين مثلاً إنما تدأب على استدعاء المشهد الكوني الذي يكتنف المخلوقات، والذي لا تنكره الخليقة لما يربطها به من ألفه تشهد الأذهان والبصائر إلى ما يخفيه هذا المشهد من حقائق لا تدركها الجوارح الحسية..

---

(١) د/ عشراتي سليمان: النورسي في رحاب القران، ص٢٢٩، انظر النص للنورسي في المثنوي العربي، ص٧٦.

(٢) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٢٩.

من هنا أربطت فلسفة القرآن أسسها التأملية التعبدية الموصولة بالفكر وبالتفكير بالخالق من خلال لفت الأبصار إلى مرافق هذا الكون الخارق، الذي هو من إبداعه وإيجاده عز وجل فيقول النورسي:" إن أكثر معلومات البشر الأرضية ومسلماته، بل بديهياته مبنية على الألفة، وهي مفروشة على الجهل المركب، ففي الأساس فساد أي فساد، فلهذا السر توجه الآيات أنظار البشر إلى العاديات المألوفة من خوارق العادات في عين العاديات " (١)

أما الفلسفة فهي غير ذلك، حيث تصطدم بتأملاتها بما يسفهها ويفند مسلماتها ويهز يقينها نتيجة فشلها في الوفاء بالتزاماتها المعرفية، وبرهاناتها الكشفية إزاء حيرة الإنسان وضياعه وجهله بعلل هذا الوجود وبمقاصده ٠

ومما لاشك فيه أن تنوع الفلسفات واختلاف مشاربها وتباين مراميها يعكس وطأة التيه الخانقة التي ظل العقل البشري يضرب فيها وكان سبباً في ضياع الحقيقة بين الاجتهادات والتجديدات النظرية، إذ تشعبتها الفرضيات والسبل، ولم يتهيأ لها في أي صدد طرقته، هداية أو يقين ٠ ولعل ذلك ما أشار إليه الفيلسوف الأسباني المعاصر " أورتيجا إي جاست " حيث يقول: " لقد أساء إلى الفلسفة حتى الآن، أنها نظرة وحيدة مطلقة، ولهذا رأينا اختلاف المذاهب وتنازعها وضرب بعضها ببعض على طول العصور " (٢)

ويبين النورسي أن نظرة القرآن الكونية تباين نظرة الفلسفة الغربية، إذ أن لكل منهما رؤيته الخاصة ومنهاجه الذي يبرز به حقيقة هذا الوجود.. يقول النورسي " الفلسفة السقيمة والمدنية السفيهة تزيدان جمودتها (الدنيا) وكدورتها بالتدقيقات الفلسفية والمباحث الطبيعية، وأما القرآن فينعش الدنيا كالعهن بآياته، ويشففها ببيناته ويذيبها بنيرانه، ويمزق أبديتها الموهومة بنعياته ويفرق الغفلة المولدة للطبيعة برعداته، فحقيقة الدنيا المتزلزلة تقرأ بلسان حالها المذكورة آية {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} "(٣)،(٤)

(١) د/ عشراتي سليمان: المرجع السابق، ص٢٢٨، انظر النص للنورسي في المثنوي العربي، ص٣٢٤.
(٢)/ عشراتي سليمان: النورسي فى رحاب القران، ص٢٣٠،٢٢٩.
(٣) سورة الأعراف: آية رقم (٢٠٤)
(٤) د/ عشراتي سليمان: النورسي فى رحاب القرآن، ص٢٣٢.

كذلك استخدم النورسي مفهومي الاسمية والحرفية ليشخص من خلالهما الفارق الأساس بين المنظورين القرآني والفلسفي، موازياً بين الإفادة التي يحصل عليها العقل من وراء تعاطيه الفلسفة والعلم القرآني وبين الدلالة التي يحيل إليها كل من الحرف والاسم ٠

" فالفلسفة عدلت عن طريق الحقيقة، فاستخدمت الموجودات لأنفسها بالمعنى "الأسمى" ٠

وأما القرآن فبالحق أنزل وبالحق نزل وإلى الحقيقة يذهب فيستخدم الموجودات بالمعنى "الحرفي" لا لأنفسها بل لخالقها " [١]

و " الفلسفة المادية تقوم الأشياء والموجودات بذاتها ولذاتها.. على عكس الرؤية القرآنية التي تقرر الأشياء بربطها لخالقها "[٢]

فرؤية القرآن إحالية تصل الوقائع ببارئها.. بينما الرؤية الفلسفية رؤية عينية ذاتية مصمتة لا يتعدى فيها الدال مدلوله الحسي الشاخص، فهي بمثابة الاسم يحمل فحواه في بينته فحسب.. ومن هنا كان النظر القرآني للأشياء نظراً إيمانياً يلحم بين الظواهر وبين الله خالقها ومدبرها فيما كان النظر الفلسفي نظراً شيئياً حسياً لا يرسو بمصادراته العقلية القاصرة إلا على منطق جحودي، من أبرز محدداته الاصطلاحية: المجهول واللانهائي والمطلق، وهو ما يعكس ضيعة الإنسان وعجزه " [٣]

ومن هنا أيضاً جاء الخلل في منهج ومنطق الفلاسفة وفي ما يكتبون وهو ما لاحظه النورسي بقوله: " ترى كتب الفلاسفة أحكم فيما يعود إلى الكائنات في أنفسنا، مع أنها أوهن من بيت العنكبوت، فيما يعود إليها بالنسبة إلى صانعها.. وكلام المتكلمين مثلاً لا ينظر إلى المسائل الفلسفية والعلوم الكونية إلا بالمعنى الحرفي التبعي والاستطرادي والاستدلال فقط " [٤].

لقد عزف النورسى عن إتباع نهج أهل الفكر الفلسفي المادى، ورفض أن يجرى في

---

(١) بديع الزمان النورسي: المثنوي، ص٦٧٠.

(٢) بديع الزمان النورسي: المثنوي، ص٧٢ وانظر د/ عشراتي سليمان: المرجع السابق، ص٢٣٤

(٣) بديع الزمان النورسي: المثنوى، ص٧٧. وانظر د/ عشراتي سليمان: المرجع السابق، ص٢٣٤

(٤) بديع الزمان النورسي: المثنوى، ص٤٠٤. وانظر٠د/ عشراتى سليمان: المرجع السابق: ص٢٣٥

مضمار أصحاب الفذلكات الحجاجية التي تهتم بأعراف المنطلق الصوري والمراسيم الجدالية المدرسية أكثر من اهتمامها بالجوهر الترشيدي التنويري الذي يخدم الإنسانية، ويجلب لها السعادة الدائمة بل لقد تأبى النورسي حتى تطعيم تقريراته بما يخرج عن نطاق عقل القرآن ومنطقه من متواضعات أهل الفكر وحكمتهم " [١].

ويصل النورسي إلى نتيجة مؤداها، أن مكانه القرآن أعلى بكثير من مكانة الفلسفة فيقول: " إن ثروة القرآن الطائلة وغناها الواسع في معرفة الله في ميدان العلم والحكمة، وإفلاس الفلسفة وفقرها المدقع في دروس العبرة والعلم بمعرفة الصانع الجليل " [٢]

ولهذا " فإن أسس الإسلام عريقة وغائرة إلى درجه لا تبلغها أسس الفلسفة، بل تظل سطحية تجاهها" [٣]

وبالتالي فالعلم المستفاد من القرآن المتعلق بالكائنات أعلى وأغلى بما لا يجد من العلم المستفاد من فنون الفلسفة " [٤]

بل إن " مفتاح دلائل إعجاز الآيات وكشاف أسرار البلاغة هو في معدن البلاغة العربية وليس في مصنع الفلسفة اليونانية " [٥]

وفي الوقت الذي يعقد فيه النورسي الموازنات بين القرآن والفلسفة المادية والتي تعد وجهاً من وجوه النقد للمنهج المادي، وذلك بجعله في مقابل القرآن من حيث طريقة تناوله للحقائق حول الإنسان والكون، نراه يركز في الوقت ذاته على بيان ثمرات كل من المسلكين (القرآن والفلسفة) على حياة الإنسان وعلاقته بمجتمعه والكون الذي يعيش فيه وهذا ما سنتحدث عنه فيما يلي:

---

(١) د/ عشراتي سليمان: المرجع السابق، ص٢٤٨- ٢٤٩

(٢) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص١٥١ وفي نفس المصدر،الموازنة بين حكمة القران والفلسفة، ص١٤٠، ١٥١

(٣) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ص٥٧٠.

(٤) بديع الزمان النورسي: المثنوي العربي، ص٤٠٧.

(٥) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٩٤.

الموازنة بين ثمرات القرآن والفلسفة

سمى النورسي هذه المقارنة (موازنة) لكي يذكرنا بالمبدأ الذي انتهجه وسار عليه واتخذه أداة ووسيلة في نقده للفلاسفة، وهو أن يعرض آرائهم على موازين العقل، فهو هنا يتخذ الميزان ذاته ليبين أي الطريقين أقرب إلى ما يقتضيه العقل السليم الذي جعله الماديون مقياسهم الأوحد..

وسنتبع هذه الموازنات بلمحة سريعة لبيان (المعرفة) الناتجة عن كلا المسلكين ونظرتها للإنسان في بعدية (الفردي والاجتماعي) وكذا نظرتها إلى الكون والموجودات.

أولاً:- المعرفة: لقد قارن النورسي بين المعرفة الناتجة عن القرآن والمعرفة الناتجة عن الفلسفة المادية، وخلص إلى بعض الفروق" سوف نقوم بعرضها وذكرها في الفصل الرابع المخصص تحت عنوان" (المعرفة في فكر النورسي).

ثانياً:- الكون: سجل النورسي أيضاً الفروق التي لاحظها بين نظرة القرآن الكريم إلى الكون بما فيه من موجودات وبين نظرة الفلسفة المادية فوجد:

١-أن الفلسفة تكتفي بالوقوف عند ظاهر الكون (الموجودات) بل وتنظر إليه باستقلال عند موجده، أي بالمعنى الأسمى (كما ذكرنا من قبل) بينما القرآن يتجاوز ظاهر الكون والموجودات ويربطها بموجدها فينظر إليها بالمعنى الحرفي..يقول:"إن القرآن الكريم هو الذى يرشد الجن والإنس إلي الآيات الكونية.. وينظر إلى الموجودات.. بالمعنى الحرفي، أي ينظر إليها من حيث دلالتها على الجليل فيقول: ما أحسن خلقه وما أجمل خلقه.. ليكشف أمام الأنظار الجمال الحقيقي للكائنات.

أما ما يسمونه بعلم الحكمة وهي الفلسفة فقد غرقت في تزيين حروف الموجودات وظلت مبهوته أمام علاقات بعضها ببعض حتى ضلت عن الحقيقة، فبينما كان عليها أن تنظر إلى كتاب الكون نظرتها إلى الحروف الدالة على كاتبها – فقد نظرت إليها بالمعنى الأسمى، أي أن الموجودات قائمة بذاتها"[1].

---

(١) بديع الزمان النورسي: الكلمات، صـ١٤٢، ١٤٣. وانظر: مجموعة الموازنات، ط١، سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٨م

٢-إن الفلسفة- بوقوفها عند الظاهر- جردت الموجودات من كل حكمة وغاية بينما القرآن يوجه نظر الإنسان إلى ما في الكائنات من حكم ومقاصد " إنه من الدساتير الحكمية للنبوه أن لكل شيء حكماً كثيرة ومنافع شتى، حتى أن للثمرة من الحكم ما بعدد ثمرات الشجرة كما تفهم من الآية الكريمة {تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا }[1] فإن كانت هناك نتيجة واحدة- لخلق ذي حياة – متوجهة إلى المخلوق نفسه، وحكمة واحدة من وجوده تعود إليه، فإن آلافاً من النتائج تعود إلى خالقه الحكيم، وآلافاً من الحكم تتوجه إلى فاطره الجليل ٠

أما دستور الفلسفة فهو " أن حكمه كل كائن حي وفائدته متوجهة إلى نفسه أو تعود إلى منافع الإنسان ومصالحة " هذه القاعدة تسلب من الموجودات حكماً كثيرة أنيطت بها، وتعطي ثمره جزئيه كحبة خردل إلى شجرة ضخمة هائلة فتحول الموجودات إلى عبث لا طائل من ورائه"[2]

٣-إن الفلسفة وهي تنظر إلى الموجودات تغفل عن الإعجاز في المخلوقات السوية وتوجه الأنظار إلى المخلوقات المشوهة، بينما القرآن يمزق أمام الإنسان حجاب العادة والألفة ليريه الإعجاز فيما كان يظنه عادياً مألوفاً..

يقول النورسي: " إن القرآن الكريم ببياناته المعجزة القوية النافذة إنما يمزق غطاء الألفة وستار العادة الملقى على موجودات الكون قاطبة والتي لا تذكر إلا أنها عادية مألوفة مع أنها خوارق قدرة بديعة، ومعجزاتها العظيمة.

أما حكمة الفلسفة فهي تخفي جميع معجزات القدرة الإلهية وتسترها تحت عظاء الألفة والعادة تتجاوزها دون اكتراث، بل تتجاهلها دون مبالاة منها... فمثلاً: إن الإنسان السوي الذي هو في أحسن تقويم جامع لمعجزات القدرة الإلهية تنظر إليه حكمة الفلسفة نظرتها إلى شيء عادي مألوف، بينما تنظر إلى ذلك الإنسان المشوه الذي شذ عن كمال الخلقة

---

(١)سورة الإسراء: آية رقم (٤٤)

(٢) بديع الزمان النورسي: الكلمات، صـ٦٤٥.

كأن يكون له ثلاثة أرجل أو رأسين.. مثلاً: فتثير حوله نظر العبرة والاستغراب "[١]

٤-إن الفلسفة تنظر إلى الدنيا على أنها ثابتة دائمة ولذا تهتم بماهية الموجودات وخواصها دون وظائفها.

بينما القرآن ينظر إلى الدنيا على "أنها عابرة سيالة خداعة سيارة متقلبة لا قرار لها ولا ثبات، لذا يذكر خواص الموجودات وماهيتها... ووظائفها التي تنم عن عبوديتها التي أناطها بها الصانع الجليل.. وتدل على أسماء صانعها الحسنى "[٢]

٥-إن الفلسفة تبني العلاقات بين الموجودات في الكون على أساس " الصراع ".

بينما ينبه القرآن إلى أن العلاقة بين الموجودات إنما بنيت على أساس التعاون والتسخير بينما "تتعامي أوربا عن ناموس التعاون والتساند المبثوث في أرجاء العوالم والأكوان والموجودات...

والمتلمذ على فكرة الصراع بين الموجودات من أجل البقاء- لابد أنه سيرى في الدنيا مأتما عمومياً ويتوهم ضجيج الكائنات ونعيات الموت ونياحات اليتامى "[٣]

بينما تلميذ القرآن لا يرى في أعظم الأشياء كالعرش والشمس إلا مخلوقاً عاجزاً مسخراً مأموراً، ويرى في روحه أواصر شوق ومحبة مع كل الصالحين من أهل السموات والأرض فيدعو لهم من صميم قلبه كما يدعوا لنفسه وأهل بيته، فأنظر إلي التفاوت بين مرؤة التلميذين: ذاك يفر من أخيه لنفسه وهذا يرى كل عباد الله إخوانه "[٤]

ثالثاً:الإنسان: تناول النورسي الإنسان بين الفلسفة والقرآن ي بعدية الفردي والاجتماعي مركزاً على الأثر الذي تخلفه نظرة الفلسفة أو نظرة القرآن ى سلوك الفرد أو على العلاقات بين أفراد المجتمع- وسنحاول أن نتلمس الفروق التي لاحظها النورسي في

---

(١) بديع الزمان النورسي: الكلمات، صـ١٥٠.

(٢) المرجع السابق نفسه: صـ٥٠٨. بتصرف.

(٣) بديع الزمان النورسي: المثنوي، صـ٢٧٠. وانظر: اللمعات، ص١٨٠، ١٨٢ بتصرف.

(٤) المرجع السابق نفسه: صـ٢٧١. بتصرف.

الجانبين:-

جانب الفرد: لقد كان لاختلاف نظرة الفلسفة إلى الإنسان بالمعنى " الأسمى " ونظرة القرآن إليه بالمعنى " الحرفي " لكل منهما أثار على سلوك الإنسان، حيث أن نظرة الفلسفة قادت الإنسان إلى " التمرد " أما نظرة القرآن فقد قادته إلى " العبودية " فيقول: " فالنبوة تمضي آخذه وجهاً لـ " أنا " ليعرف أنه عبد الله ومطيع لمعبودة، ويفهم أن ماهيته حرفية، أي دال على معنى في غيره.

" أما الفلسفة فتُقبلُ آخذةً الوجه الآخر لـ " أنا " بالمعنى الأسمى، أي تقول أن " أنا " يدل على نفسه بنفسه، وتقضي أن معناه في ذاته... وتزعم أن له حقاً في الحياة وأنه مالك حقيقي في دائرة تصرفه " [1]

إن إنسان الفلسفة " متمرد " لكنه متمرد مسكين، إذ لأجل لذة تافهة يقبل قدم الشيطان، ولأجل منفعة حسية يرضى بمنتهى الذل والهوان.

أما إنسان القرآن فهو: " عبد " ولكنه " عبد عزيز " لا يتنزل لعبادة أعظم مخلوق.

أن إنسان الفلسفة " جبار " لكنه جبار عاجز في ذاته، لأنه يجد مرتكزاً في قلبه يأوي إليه، فغاية ما يصبوا إليه، هو تطمين رغبات النفس وإشباع هواها.

أما إنسان القرآن " لين هين " لكنه لا يتذلل لغير فاطره، فهو صاحب همة عليا وعزيمة صادقة، " فقير " لكنه مستغن بفاطره، " ضعيف " لكنه يستند إلى قوة سيده المطلقة " [2].

وفي تحديد علاقة الإنسان مع الله تعالى: لاحظ النورسي" أن عظماء الفلسفة وروادها ودهاتها أمثال: " أفلاطون وأرسطو وابن سينا والفارابي "- بناءاً على تلك الأسس الفاسدة – بأن الغاية القصوى لكمال الإنسان هي " التشبه بالواجب " أي الخالق جل وعلا- فأطلقوا حكماً فرعونياً طاغياً ومهدوا الطريق لكثير من الطوائف المتلبسة بأنواع من الشرك أمثال: عبدة الأسباب، وعبدة الأصنام، وعبدة الطبيعة، وعبدة النجوم، وذلك

(١) بديع الزمان النورسي: الكلمات، صـ ٦٣٧، ٦٤٠، ٦٤٢. بتصرف.

(٢) بديع الزمان النورسي: اللمعات، صـ ١٨١.

بتهييجهم " الأنانية " لتجري طليقة في أودية الشرك والضلالة فسدوا سبيل العبودية إلى الله... بينما أتباع القرآن الذين هم في مسار النبوة، فأنهم بنوا العلاقة على فكرة " التخلق بالأخلاق الإلهية " فقادوا الإنسان إلى العبودية "[1]

جانب العلاقات الاجتماعية:-

لاحظ النورسي أن العلاقات الاجتماعية التي تنشئها الفلسفة، تختلف عن العلاقات الاجتماعية التي ينشئها القرآن، لاختلاف القيم التي يقوم عليها مجتمع الفلسفة، وتلك التي يقوم عليها مجتمع القرآن.

ولقد لخص النورسي عمل كلا المنظومين في إطار حركة " مجتمع الفلسفة " و " مجتمع القرآن" وبين آثار كل منهما:- يقول " إن حكمة الفلسفة ترى " القوة " نقطة الاستناد في الحياة الاجتماعية وتهدف إلى " المنفعة " في كل شيء وتتخذ " الصراع " دستوراً للحياة وتلتزم " بالعنصرية والقومية السلبية " رابطة للجماعات.

أما ثمراتها: فهي إشباع رغبات الأهواء والميول النفسية التي من شأنها تأجيج النفس وإثارة الهوى، ومن المعلوم أن شأن القوة هو " الاعتداء " وشأن " المنفعة هو التزاحم " إذ لا تفي لحاجات الجميع وتلبية رغباتهم، وشأن " الصراع " هو " النزاع والجدال " و شأن " العنصرية " هو " الاعتداء " إذ تكبر بابتلاع غيرها وتتوسع على حساب العناصر الأخرى.

ومن هنا تلمس أن اللهاث وراء هذه الحكمة (الفلسفة) لا يسلب من جرائها إلا سعادة البشرية.

أما حكمة القرآن الكريم: فهي تقبل " الحق " نقطة استناد في الحياة الاجتماعية بدلاً من " القوة " وتجعل " رضي الله سبحانه " ونيل الفضائل هو الغاية بدلاً من " المنفعة " وتتخذ دستور " التعاون " أساساً في الحياة بدلاً من دستور " الصراع " وتلتزم برابطة " الدين " لربط فئات المجتمع بدلاً من العنصرية والقومية السلبية.

---

(١) بديع الزمان النورسي: الكلمات، صـ٦٤٢.

وتجعل غايتها الحد من تجاوز النفس الأمارة ودفع الروح إلى معالي الأمور وإشباع مشاعرها السامية تسوق الإنسان نحو الكمال والمثل الإنسانية، وإن شأن " الحق " هو " الاتفاق " وشأن " الفضيلة) هو " التساند " وشأن " دستور التعاون " هو " إغاثة كل للآخر " وشأن " الدين " هو " الأخوة والتكاتف " وشأن " إلجام النفس " وكبح جماحها وإطلاق الروح وحثها نحو كمال هو " سعادة الدارين "[1]

وبهذا يوضح النورسي أن القرآن يبنى حياة اجتماعية يسودها التساند والتراحم.
بينما الفلسفة بمنطقها المادي والنفعي تبني حياة اجتماعية يسودها الصراع والتزاحم.

(١) بديع الزمان النورسي: الكلمات،صـ١٤٥،١٤٦.وأنظر في نفس المرجع، صـ٤٧٢،٤٧٣ بتصرف.

موقف النورسي من الفلاسفة

بعد أن وقف النورسي على قناعة تامة وراسخة أن حكمة القرآن هي الأقوم والأصوب والأنفع للبشرية وللكون، كما أنها تصحح مسار علاقة الإنسان مع الله، بدأ يجتث في جذور الفلسفة المادية الفاسدة حتى لا يبقى لها قراراً على سطح هذا الكون، ويزيل شبحها الأسود الذي يعكر صفو الحياة، وذلك من خلال هجومه ونقده للفلاسفة...

وسيتضح لنا من خلال ما يأتي، أن النورسي حينما يتحدث عن الفلاسفة يبين ثلاثة أصناف:-

١- فلاسفة الإسلام.

٢- الفلاسفة غير الماديين- الذين يسميهم الإشراقيون.

٣- الفلاسفة الماديون.

فنجده يتناول الأوائل " الإسلاميين " تارة بالمدح، كقوله في " ابن سينا ": "ولقد فسر " ابن سينا " " أفلاطون " فلاسفة الإسلام وشيخ الأطباء وأستاذ الفلاسفة، فسر هذه الآية {يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ}[1] من زاوية نظر الطب فقط بالأبيات التالية:-

جمعت الطب في بيتين جمعاً وحسن القول في قصر الكلام

فقلل إن أكلت وبعد أكل تجنب والشفاء في الإنهضام

وليس على النفوس أشد حالاً من إدخال الطعام على الطعام[2]

ويتناولهم تارة أخرى باللوم والتقريع، ويضم إليهم بعض المتكلمين خصوصاً حينما

---

(١) سورة الأعراف: آية رقم (٣١)

(٢) بديع الزمان النورسي: اللمعات، صـ٢٢٣.

يجدهم قد انساقوا وراء الفلاسفة الماديين بعيداً عن موازين القرآن فيقول: " لم ينل حكماء الإسلام الدهاة أمثال " ابن سينا والفارابي " وغيرهم من الذين أفتتنوا بهذه الفلسفة المنهارة الأسس اغتروا بها وبريقها، لم ينالوا هؤلاء إلا أدنى درجة من درجات الإيمان عند المؤمن الاعتيادي، بل لم يمنحهم الإمام الغزالي وهو حجة الإسلام حتى تلك الدرجة...

وكذا أئمة المعتزلة الذين هم من علماء الكلام المتبحرين، فلأنهم افتتنوا بالفلسفة وزينتها وأوثقوا صلتهم بها، وحكموا العقل، لذا لم يظفروا إلا بدرجة المؤمن المبتدع الفاسق .

وكذلك أبو العلاء المعري الذي هو من مشاهير شعراء المسلمين والمعروف بتشاؤمه ويأسه وقنوطه، وعمر الخيام المشهور بنحيبه وبكائه ونواحه، لما سلكا طريق الفلسفة وتلذذا

بمسلك الهوى والنفس، صفعتهما أكف التحقير والإهانة، فأتُهما بالكفر والزندقة والتضليل "[1]

أما الصنف الثاني:- وهم الفلاسفة غير الماديين (الإشراقيون) فأنه ينتقدهم ويسفه أفكارهم ولكنه يضعهم في مكانة أرقى من الفلاسفة الماديين، من ذلك مثلاً: أنه بعد أن ذكر أراء الفلاسفة القدامى في مسألة " أن الواحد لا يصدر عنه إلا الواحد " وكيف حاولوا أن يفسروا علاقة " الله " بخلقه من خلال ما أسموه " بالعقل "، يقول: " فإن كان الإشراقيون الذين هم أرقى الفلاسفة والحكماء فهما يتفوهون بهذا السخف من الكلام، فكيف يكون يا ترى كلام من هم دونهم في الفلسفة والحكمة من ماديين وطبيعيين "[2]

أما الصنف الثالث:- وهم الفلاسفة الماديون أو الطبيعيون، فهم الذين خصهم النورسي بأكبر قدر من النعوت القدحية، وكانت له معهم وقفات عديدة نقضاً لأدلتهم أو

---

(١) بديع الزمان النورسي: الكلمات، صـ٦٤٥، ٦٤٦. وأنظر إحسان قاسم: حياته وآثاره، صـ٢١٤، ٢١٥. بتصرف

(٢) بديع الزمان النورسي: الكلمات، صـ٦٤٥.

رداً على شبهاتهم، لأن "أهل الضلالة والإلحاد يستندون دائماً على الأسس الفاسدة للفلسفة الطبيعية المادية، فيوهمون بعض المسلمين بأن لهم أسساً علمية يركنون إليها لصد حقائق الإسلام "[١]

أما الفلاسفة المحدثون والنظريات المادية الحديثة: فهي بلا شك تستند في جذورها الأصلية على الفلسفة المادية القديمة، وبما أننا قد أثبتنا بطلان تلك الجذور وتفاهتها فلا حاجة إذن من حصر الموضوع في فلسفة معينة بالذات، وهكذا لا تجد اسم " كانت " و " نيتشه " وغيرهما، ولا ذكراً لنظرية " دارون " وغيره من الذين نفثوا بنظرياتهم الخبيثة سموماً في عقول أبناء هذا العصر "[٢]

ثم يستطرد النورسي في هجومه للفلاسفة الماديين وخاصة القدامى باعتبارهم الأم المرضعة للفراعنة والنماريد فيقول: " نعم.. أن الذي أرضع الفراعنة والنماريد وكان السبب في نشوئهم هو الفلسفة القديمة لمصر وبابل التي أرتقت إلى درجة السحر، وكذلك فإن الذي مكن آلاف الآلهة من عقول اليونان في القديم وولد الأصنام هو مستنقع الفلسفة الطبيعية ووحلها.. نعم، إن الذي لا يرى نور الله بسبب من الأسباب الطبيعية فإنه يمنح لكل شيء الوهيه ويسلطها على نفسه"[٣]

وبعد أن ألمحنا إلى هجوم النورسي ونقده للفلاسفة وبيان موقفه منهم، نراه يطرح سؤالاً على نفسه ليبين فيه ما قد يخطر في نفوس الآخرين، بأنه كيف يهاجم شخص مثله عمالقة وأعلام،...ومن يكون هو حتى يناطحهم ويهاجمهم وينتقد أرائهم ويظهر عورها؟...

ويرد النورسي على هذا السؤال باستعلاء إيماني رائع، إذ أن إيمان النورسي بما يملكه من حق مستفاد من القرآن الكريم، جعله لا يتهيب من نقد الفلاسفة الذين يعدهم الناس أعلاماً، ولم تمنعه عظمة أسمائهم من أن يحاكمهم ويرد عليهم، وكأنه أستشعر أن معترضاً

---

(١) إحسان قاسم النورسي: النورسي نظره عامه، صـ٢١٢.

(٢) المرجع السابق نفسه: صـ٢١٦.

(٣) إحسان قاسم: النورسي نظرة عامة، صـ٢١٤. بتصرف.

سينكر عليه فعله هذا، فقال مجيباً:- " وإن قلت " فما تكون أنت حتى تنازل هؤلاء المشاهير أمثال أرسطو وأفلاطون وتتدخل في طيران الصقور مع أنك كذبابة ؟...

أقول لما كان لى أستاذ أزلي " وهو القرآن العظيم " فلا أراني مضطراً أن أبالي- ولو بقدر جناح ذبابة – في طريق الحقيقة والمعرفة بأولئك الصقور الذين هم تلاميذ الفلسفة الملوثة بالضلالة والعقل المبتلى بالأوهام، فمهما كنت أدنى درجة إلا أن أستاذهم أدنى بدرجات لا حد لها من أستاذي، فبفضل أستاذي وهمته لم تستطيع المادة التي أغرقتهم أن تبلل قدمي...

نعم أن الجندي البسيط الحامل لأوامر سلطان عظيم وقوانينه يمكنه أن ينجز من الأعمال ما لم ينجزه مشير لدى ملك صغير "[1]

ولكن... إذا كان هذا التلميذ المتواضع (النورسي) الذي لم تستطيع المادة أن تبلل قدمه واستطاع بهمته الإيمانية أن يهاجم هؤلاء الصقور ويحطم حصونهم المادية الكرتونية بعد أن غاص في مذاهبهم الفلسفية قديمها وحديثها، مستوعباً إياها ليبرهن بالأدلة القاطعة والمقنعة والمقبولة فساد منهجهم وأقوالهم، وأن الحكمة كل الحكمة في القرآن، فهل هذا مؤشر بأنه خاض غمار الفلسفة..وهل خاضها قارئاً أم خاضها فيلسوفاً...

هذا ما سنجيب عليه، ونتحدث عنه على صفحات هذا البحث...

---

(١) بديع الزمان النورسي: الكلمات، النص بالهامش،صـ٦٤٨ وأنظر. إحسان قاسم: النورسي نظرة عامة / صـ٢١٥.

سعيد القديم الفيلسوف

يقر النورسي بأنه اشتغل بالفلسفة مدة وتعلق بها تعلقه بالعلوم العقلية، كما اشتغل وتعلق بها غيره من المفكرين، بحيث يصح أن نعد هذه الفترة من حياته الفكرية فترة تفلسف صريح جعله يتخذ من العلاقة بين الفلسفة والحكمة نفس الموقف الذي أتخذه فلاسفة الإسلام، الذين سلموا بمبدأ الجمع بين الفلسفة والحكمة، سواء اتخذ هذا الجمع شكل التداخل كما عند " الكندي والفارابي وابن سينا "، أو شكل التصاحب كما هو عند " أبو سليمان السجستاني وأبن رشد "

ونبسط التوضيح بلمحة سريعة لهاتين الصورتين فنقول:-

١- جمع التداخل بين الفلسفة والحكمة: إن الصورة الأولى التي أتخذها الجمع بين الفلسفة والحكمة، هو أنه عبارة عن "تداخل" بمعنى أن الفلسفة والحكمة تدخل إحداهما في الأخرى فما تقرره الحكمة تثبته الفلسفة وما تدعيه الفلسفة تؤيده الحكمة، بحيث تنزلان منزلة الأختين الشقيقتين، ويقوم هذا الوصل التداخلي حسب ما جاء في نصوص بديع الزمان على مبدأين أساسيين:-

أحدهما:- مبدأ تأسيس النقل على العقل: ومقتضاه أن النقل يؤول على مقتضى العقل متى ظهر تعارضه معه.

وثانيهما: مبدأ التوسل بالعقل في النقل: ومقتضاه أن المفاهيم العقلية تكون وسائط في بيان الحقائق النقلية..

وقد عمل النورسي بهذين المبدأين في فترة تفلسفه إذ يخبرنا أنه كان يقيم الحقائق الإسلامية على أدلة عقلية كما هي طريقة الفلاسفة،" داخلاً في مناظرة خصومه وخصوم الإسلام ويناظر العلماء ويناقشهم في أدق المسائل وأعمقها"[1]

---

(١) بديع الزمان النورسي: المتنوي العربي، صـ٣٢ وأنظر د/ طه عبد الرحمن:الإسلام على مفترق الطرق، تقديم.د/ إبراهيم أبوربيع، ط١،ص٢٣٤، سوزلر،القاهرة،٢٠٠٥م. بتصرف.

كما نجد أنه كان يلجأ في توضيح المعاني الإسلامية إلى المفاهيم الفلسفية كشأنه مع معنى "العدل" إذ لجأ في بيانه إلى نظرية "أفلاطون" في الفضائل الأربع – أي العفة والشجاعة والحكمة والعدل- وأيضاً إلى نظرية " أرسطو " في مفهوم الفضيلة باعتبارها وسطاً بين الإفراط والتفريط.

٢- جمع التصاحب بين الفلسفة والحكمة: وهي الصورة الثانية التي اتخذها لجمع التصاحب بمعنى أن الفلسفة والحكمة ولو أنهما تعبران عن حقيقة واحدة، تبقيان مستقلتين إحداهما عن الأخرى، إذ تكون لكل واحدة منهما لغتها وجمهورها ومنهجيتها ومقصديتها الخاصة فتكون العلاقة بينهما علاقة تساوق وترافق أشبه بترافق الصديقين، والأصل في القول بهذا الوصل التصاحبي هو الاعتقاد بأن الفلسفة تأخذ بمبادئ ثلاثة لا تأخذ بها الحكمة:

أحدهما: مبدأ الاندهاش:- ومقتضاه أن فعل التفلسف يتولد من الشعور بالدهشة – أو العجب – إزاء الآثار في النفس، أو إيذاء الأشياء في الأفق.

والثاني: مبدأ الاستشكال: ومقتضاه أن الفيلسوف لا يفتأ يضع الأسئلة تلو الأخرى باحثاً عن الأجوبة عنها.

والثالث: مبدأ الاستدلال: ومقتضاه أن الفلسفة تستند في إثبات حقائقها إلى الأدلة العقلية التي قد تبلغ أعلى مراتب اليقين.

وقد عمل النورسي بهذه المبادئ الثلاثة هي الأخرى في فترة تفلسفه، إذا كان يتمتع بقدرة

إندهاشية قل نظيرها، فلا يرى شيئاً في نفسه أو في أفقه إلا ويرى فيه سراً عجيباً ينبغي إستكناه أمره ٠

وأيضاً كانت الأسئلة المصيرية تملك عليه مشاعره، وتستحوذ على مداركه، فيشغله طلب الأجوبة عنها طويلاً، ومعاوداً النظير فيها إن تصحيحياً أو تعمقياً ٠

ولم يكن النورسي يجد من طريق أسلم في إستكناه الأمور التي يندهش لها، ولا في

الجواب عن الأسئلة التي تهجم عليه إلا طريق البرهان العقلي لكي تطمئن نفسه التي بين جنبيه ويقتنع خصمه الذي بين يديه. "[1]

(١)د/ طه عبد الرحمن: الإسلام على مفترق الطرق، ص ٢٣٤، ٢٣٥.

النورسي "الحكيم"

" شاءت قدرة الله تعالى أن تتجدد تجربة شيخ الإسلام الغزالي المتوفى سنة (٤٩٥هـ) في القرن العشرين على بديع الزمان النورسي، سائراً بذلك سير الغزالي ومسترشداً بعلمه وحكمته، فالتقدير الكبير الذي يكنه النورسي للغزالي هو الذي أفرز هذا التوافق بينهما، إذ نجده يعتبره من ورثة الأنبياء "[١]، " ويدعوا إلى وجوب الاسترشاد بتعاليمه "[٢]

بل ويرى أن مهمة " رسائل النور وطلابها هي الحفاظ على مسلك أستاذهم حجة الإسلام الغزالي "[٣].

" وإذا كان الغزالي نبه إلى فساد مذهب الفلاسفة وبين أنهم " على كثرة أصنافهم يلزمهم وصمة الكفر والإلحاد " وخصص كتابة " تهافت الفلاسفة " لتحليل ونقد آرائهم ومناهجهم "[٤]

فإن النورسي لم يسلم بالأخذ بهذا القول (حتى وإن كان قائله الغزالي) دون أن يستوعب ويلم بالمذاهب الفلسفية قديمها وحديثها ليقف بسفينة نفسه التواقة الطوافة على أي بر سيرسو بها .

ولعل هذا كان موافقاً لما قاله الغزالي في مقدمة كتابه (مقاصد الفلاسفة):" فإن الوقوف على فساد المذاهب قبل الإحاطة بمداركها محال، بل هو رمى في العماية والضلال "[٥]

" وذلك لكي يحاول أن يجد له أرضاً صلبة يقف عليها ويطلق منها سهامه إلى الفلسفة

---

(١) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ص٣٦١.

(٢) المرجع السابق نفسه / ص٥٧٧.

(٣) بديع الزمان النورسي: الملاحق، ص٢١٦.

(٤) د/ محمد بتهيله: موقف النورسي من الحضارة الغربية،أعمال مؤتمر العولمة والأخلاق، ص ٣٠٨، ٣٠٩.

(٥)ا.د/ أحمد السايح:المعرفة في الإسلام بين الأصالة والمعاصرة،ص٢٥،وانظر. الغزالي: مقاصد الفلاسفة، ص٣١.

(الإلحادية الفاسدة) أي أنه يحاول بناء وجهة نظر مضادة يجتهد في أن تكون منطقية ومتينة ومستنده إلى أسس قوية، وهذا يعني في النهاية أنه يتفلسف.

وقد قال أرسطو ذات مرة " إن الذي يرفض الفلسفة يتحتم عليه أن يتفلسف" [١].

ولقد عمل النورسي بنصيحة الغزالي وأرسطو، ودفعه للعمل بهذا النصح " انبهاره وهو في مرحلة تكوينه العلمي بقواعد البحث الفلسفي ومناهجه الاستدلالية وأسسه المنطقية، سواء منها المناهج والأسس التي أبدعها اليونان، أو التي أنتجها علماء الإسلام، والتي أسهمت في تطور الفكر الغربي، معتقداً أنها تمكن العقل الإنساني من معرفة حقيقية الوجود والحياة والإنسان ومن حسن تحليل كثير من الظواهر الفكرية والاجتماعية، فقد أغوته الفلسفة بمصطلحاتها المزركشة وقواعدها المنمقة وتعابيرها الآخذة قبل أن يصحوا من غفلته ويتنبه إلى تهافتها وعجزها عن بيان الحقائق والتصورات التي تقوم عليها سعادة الإنسان الدنيوية والأخروية، وقبل أن يتفطن إلى أن افتتانه بها قد أحدث حجاباً على عقله منعه من الفهم الصحيح للحقائق الكونية، وكون غشاوة على روحه حرمة من تلمس كثير من الأنوار الربانية، فكان ملزماً بالقيام بمجهود عقلي كبير، ونشاط روحي عميق للتخلص من كل ذلك.." [٢]

" من هنا يبدأ العهد الجديد لسعيد النورسي الجديد، إذ يتجرد من لباسه الفلسفي القديم ليلبس لباساً جديداً، ألا وهو لباس الحكمة •

أو قل هاهنا تشهد موت بديع الزمان الفيلسوف، وولادة بديع الزمان الحكيم. " [٣]

ونسوق في هذا المقام نصاً بهذا الشأن، وهو ما أشار إليه النورسي بقوله:-

" راجعت أول ما راجعت تلك العلوم التي أكتسبتها سابقاً أبحث فيها السلوة والرجاء، ولكن كنت – ويا للأسف – إلى ذلك الوقت مغترفاً من العلوم الإسلامية مع

---

(١) ا. د/ محمود حمدي زقزوق: مقدمة في الفلسفة، ص١٠، ١١.

(٢) د/ محمد بتهيلة: موقف النورسي من الحضارة الغربية،أعمال مؤتمر العولمة والأخلاق، ص٣٠٨.

(٣) يعتبر بديع الزمان النورسي هذه الولادة الجديدة بمثابة تجلي لاسم " الحكيم " أنظر المكتوبات ص ٢٣، ٢٤.

العلوم الفلسفية ظناً مني – ظناً خطأ جداً – أن تلك العلوم الفلسفية هي مصدر الرقي والتكامل ومحور الثقافة وتنور القلب بينما تلك المسائل الفلسفية هي التي لوثت روحي كثيراً، بل أصبحت عائقة أمام سموي المعنوى.. نعم، بينما كنت في هذه الحالة، إذا بحكمه القرآن المقدسة تسعفني رحمة من العلي القدير وفضلاً وكرماً من عنده سبحانه، فغسلت أدران تلك المسائل الفلسفية وطهرت روحي منها - كما هو مبين في كثير من الرسائل – إذ كان الظلام الروحي المنبثق من العلوم الفلسفية يغرق روحي ويطمسها في الكائنات، فأينما كنت أتوجه بنظري في تلك المسائل فلا أرى نوراً ولا أجد قبساً ولم أتمكن من التنفس والانشراح، حتى جاء نور التوحيد الساطع من القرآن الكريم الذي يلقن " لا إله إلا الله " فمزق الظلام وبدده، فانشرح صدري وتنفس بكل راحة واطمئنان "[1]

ويقول في موضع آخر " فما كان من " سعيد الجديد " إلا القيام بتمخيض فكرة والعمل على نفضه من أدران الفلسفة المزخرفة ولوثات الحضارة السفيهة "[2]

وبعد الدراسة والبحث في مؤلفات النورسي نجد أنفسنا أمام فليسوف توافرت به جميع خصائص الفكر الفلسفي من فكر عقلاني وأسلوب أدبي أتاح له أن يناقش اعتى المشكلات بأكبر قدر ممكن من الحكمة والتميز والبساطة والواقعية والدقة والجودة والإتقان..

ونلمس من خلال رسائله أنه غاص بثاقب فكرة في بحار العلوم والمعارف لاقتناص الفكر الحر المستنير، وتعمق في جميع العلوم باعتبار أن الفلسفة هي الغطاء لكل العلوم وأن الفكر العقلاني ليس قاصراً على معيار محدد من العلوم، أو مقنن لعلم من العلوم دون غيره، مما أتاح له أن يقول شيئاً ذاتياً في كل رأي وفي كل فكر بحس نقدي متميز..

وساعده على ذلك فكر متوقد وثاقب، وذهن نافذ ومنطق طبيعي، فهو سريع الالتفاف إلى مكان الضعف والقوة في النظرية المعروضة، فما من قضية إلا وسلط عليها فكرته

---

(١) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص٣٦٧، ٣٦٨، وانظر / طه عبد الرحمن: الإسلام على مفترق الطرق، ص٢٣٦، سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٥.. بتصرف.

(٢) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص١٧٦.

الأصلية ولم يقم بشرح نظرية إلا وكشف عن عيوبها ومحاسنها وأوضح موقفه منها وكان بهذا حاضراً بذاتيته في كل موقف وفي كل رأي.

وخلاصة ما تم طرحه على صفحات هذا البحث (بلمحة سريعة):-

- يلفت البحث النظر إلى موقف النورسي من الفلسفة، والتفكير الفلسفي والفلاسفة، والموازنة بين ثمرات القرآن وثمرات الفلسفة، ومن خلال ذلك نستنتج: أن النورسي يهاجم الفلسفة والفلاسفة الماديين الإلحاديين بنعوت قاسية، ويسفهه آرائهم ومناهجهم القائمة على مسطرة اللادين.

ولكنه يؤيد ويحث على التفكير الفلسفي بعقل إيماني قرآني.

ومن خلال استعراضنا لموقف النورسي من الفلسفة نستنتج عدة أمور، أجد من المهم (من وجه نظري) عرضها، وهي كما يلي:-

- أن النورسي سعى من خلال موقفه الرافض للتيارات الفلسفية المعادية للدين إلى صد التأثيرات السلبية لهذه التيارات لخطرها على العقيدة وعلى واقع المجتمع، هذا من ناحية.

ثم سعيه لإزالة التأثير السلبي الذي علق بعقول بعض المثقفين، فنتج عنها أفكاراً ضارة، وأرادوا رواجها.

- أن الفلسفة هي نمط للتفكير، ويتشكل محتواها من الأفكار التي يصنعها الفيلسوف بعقله وبتأثير اعتقاداته، والفلسفة بذاتها ليست محرفة، بل العكس إن الذي يفهم الفلسفة جيداً ويعرف أفكار الفلاسفة بشكل جيد يستطيع مجابهة الأفكار المنحرفة بالاستناد على ذلك.

كما أن الفلسفة طورت الفكر أكثر من تشتيتها للعقل البشرى، وفتحت الطريق إلى الأفكار والآراء والنظريات والاكتشافات الجديدة، ولو لم تحدث أفكار مختلفة لما استطاع النورسي نفسه أن يطرح الأفكار الجديدة.

والنورسي نفسه أعلن قبوله دستور " تعرف الأشياء بأضدادها " لذا نرى أن الآراء

المختلفة والمعارضة وحتى الآراء المنحرفة هي التي تعرفنا بقيمة آرائنا الصائبة.

- يبدو لي أنه ليس من الصواب مماثلة موقف النورسي بموقف الغزالي للفلسفة والفلاسفة (وإن كنا لا ننكر التشابه إلى حد ما) حيث أن نقد النورسي وموقفه يعني الفحص والفحص معناه تبيان الحقيقة، كما أنه احتاط في رأيه وحكمه حول الفارابي وابن سينا ولم يحكم بما حكم به الغزالي، بل وضعهما في إطار أنهما مؤمنين... ولكن عاديين.

- يبدو لي أن طرح النورسي " لسلسلة النبوة " تجاه " سلسلة الفلسفة " وموازنته بين " ثمرات القرآن " و " ثمرات الفلسفة " كان من الأفضل عدم القيام به، لان المقايسة تتطلب المماثلة، وهذا غير متوفر، وغير موجود، ولو لم يقم بهذا الطرح لكان أفضل، وذلك لأن سلسلة النبوة والقرآن مصدرهما إلهي مباشر، ويضمون أوامر ونواهي الوحي، وماهيتهم مختلفة، وليس للعبد أو العقل البشري أثر فيها ولكن كل ما يتعلق بالفلسفة هي أثر العقل البشري على الأغلب، وعندما يتفلسف الإنسان يستطيع أن يقوم بتوفيقها مع الأسس التي جاء بها الوحي، أو بالاستفادة منها.

أما إذا كان هذا الطرح من أجل إظهار وتقديم البديل (أي عن الفلسفة المادية الإلحادية والتي تؤله الطبيعة) من أجل البحث والتنقيب في القرآن وبيان أفضليته لكونه يحتوى على مخزون معرفي، والبحث في الكون بمنظار قرآني، وذلك لبناء وتشييد صرح معرفة إسلامية، فأن هذا الطرح يعتلي قمة الصواب.

- يبدوا لي أنه ليس من الصحيح أن النورسي ينكر الفلسفة، ومن أجل فهم النورسي الفهم الصحيح وإبعاد الظن بأنه ينكر الفلسفة، فإنه لا بد من فهم الدوافع، والنظر إلى الفلسفة التي يرفضها، والنظر إلى المرحلة التي عاش فيها، وخاصة مرحلة المشروطية الثانية، حيث بدأت تتغلغل مختلف التيارات المعادية للإسلام مما نتج عنه آثاراً سلبية على المجتمع التركي، وخاصة المثقفين منهم والساسة.

- أن نضع بعين الاعتبار عند التعليق على نظرة النورسي للفلسفة، الأهمية التي أعطاها للعقل كمصدر من أهم مصادر المعرفة، ويتجلى ذلك في حثه على استخدام العقل في كلتا المرحلتين من حياته (سعيد القديم - سعيد الجديد) وطالب المسلمين خاصة بذلك لأن

العقل هو أهم ما يميز الإنسان عن سائر الكائنات، كما أن القرآن حث على النظر والتفكر واستخدام العقل، وهو الذي جعل الإسلام يتميز عن غيره من الأديان

- إن الفلسفة التي تهاجمها رسائل النور وتصفعها بصفعاتها القوية، هي الفلسفة المضرة وحدها، التي تردت في الضلال والإلحاد ومستنقع الطبيعة، وليس الفلسفة على إطلاقها، حيث أن قسم الحكمة من الفلسفة الإيجابية التي تخدم الحياة الاجتماعية للبشرية، وتعين الأخلاق والمثل الإنسانية، وتمهد السبل للرقي الصناعي فهي في وفاق ومصالحة مع القرآن.... لذا لا تتصدى رسائل النور لهذا القسم من الفلسفة.

المبحث الثالث

موقف النورسي من الحضارة الغربية

ويشمل على ما يلي:-

تصفية " الذات " قبل نقد " الآخر ".

أسباب نهضة أوربا.

أوروبا النصرانية.

أوروبا المادية الإلحادية.

الحضارة الغربية وتهميش الدين.

أخلاقيات المدنية الحديثة وموقف النورسي منها.

النورسي يرفع شعار (خذ ما صفا ودع ما كدر).

أسس المدينة الحديثة.

أسس المدنية الإسلامية من المنظور النورسي.

موقف النورسي من الحضارة الغربية

لقد كان لاختلاف أنظار المفكرين والمجددين والمصلحين وتعدد اتجاهاتهم ومشاربهم والظروف البيئية والاجتماعية والسياسية الأثر الكبير في إثارة الجدل حول الحضارة الغربية وانقسامهم إلى اتجاهات وفرق تتمحور حول الرفض والقبول...

فمنهم من يدعوا إلى ضرورة تقليد الغرب في كل شيء (حذو النعل بالنعل) حتى تمنى بعضهم أن نكتب من اليسار إلى اليمين كما يكتبون، وتراهم على شاشات التلفاز أو في الندوات والمؤتمرات يتحدث بلغة الغرب أكثر من أن يتحدث بلغته العربية، وممن اشتهروا وأعلنوا تأييدهم الكامل للحضارة الغربية والأخذ عنها بل ونقلها كما هي: مثل: سلامة موسى وأحمد لطفي السيد، وطه حسين.

وهناك من رفضها رفضاً تاماً وهم أصحاب الاتجاه السلفي، وأبرزهم محمد بن عبد الوهاب " " وجمال الدين الأفغاني " الذي يرى أن علاج الأمة إنما يكون برجوعها إلى قواعد دينها والأخذ بأحكامه على ما كان في بدايته " [1].

وهناك من يقرر التعامل مع الحضارة الغربية والأخذ منها ما هو نافع ويوافق مبادئ الإسلام ورفض ما يخالف تعاليمه، وأبرز من يمثل هذا الاتجاه الوسطي المعتدل الأمام رفاعة الطهطاوي و محمد عبده، ومحمد إقبال، والنورسي..

لقد أخذ النورسي يتجول بمنظاره القرآني ليرصد ما يوافق ويتوائم مع أرض الإسلام الخصبة ومائها النقي الصافي وقلوب أصحابها المؤمنة.. فأعلن قبوله ولكن " بحذر ".

وما وجده ضبابياً وملوثاً....، أعلن رفضه له، لأنه يخالف تعاليم الإسلام.

ومما أود الإشارة إليه " أننا في عالمنا الإسلامي اليوم نقف عند مفترق طرق خطير بين أصحاب المذاهب والأيدلوجيات الكارهة للإسلام، أو الرافضة للأديان وحرصهم على وصف الحضارة بالعربية، لا حباً في العروبة أو تقديراً لدورها واعتزازاً بمكانتها، وإنما

---

(١) د/ عزت قرني: العدالة والحرية، عالم المعرفة، سلسلة المجلس الوطني للثقافة، ص٢٣٩، الكويت، ١٩٨٠.

رفضاً " للإسلام" ورغبة في الانتقاص من دورة كقوة حضارية كبرى أسهمت إسهاماً منقطع النظير في بناء صرح الحضارة البشرية.

كل ذلك في محاولة منهم لطمس دور الإسلام عقيدةً وفكراً ومنهاجاً، وإحلال العروبة محل الإسلام.

ولكن هيهات... فالحقيقة التاريخية أقوى وأرسخ، ولهذا نجد أنفسنا أمام ثلاث اتجاهات متباينة

ومختلفة، بين متشككين في ماض وحاضر ومستقبل الحضارة الإسلامية..... وبين مفتونين بحضارة الغرب..... وبين آسفين على مجد أدبر...

أما المتشككون في ماضي الحضارة الإسلامية العربية وحاضرها ومستقبلها: فيمثلون الجانب الهدام الذي لا يرى في ماضي الحضارة إلا جحوداً، ولا في حاضرها إلا عجزاً، ولا في مستقبلها إلا قنوطاً .

وقد فات هؤلاء الهدامين أن الحضارة الإسلامية العربية كانت بروحها وعلمها حركة تقدمية عرفتها مسيرة التاريخ، كل ما في الأمر هو أنها حركة تقدمية داخل إطار متماسك من القيم الدينية والأخلاق الكريمة.

أما المفتونون بالحضارات الأجنبية: فقد بهرتهم الآراء المستوردة والقشور الزائفة بكل ما تحويه من انحلال وهدم للقيم الروحية والخلقية، وتحت تأثير هذه الجاذبية البراقة تخلوا عن أصولهم ونسوا جذورهم، مما جعل بنائهم هشاً لا قواعد ولا أساس له .

وهم عندما اقبلوا على الحضارات الأجنبية لم يأخذوا منها الجانب الجاد النافع بقدر ما أخذوا الطلاء البراق بما فيه من رذائل ومفاسد.

وقد نسي هؤلاء أن حضارة الإسلام في أزهى عصورها لم تعط ظهرها أبداً للحضارات الأخرى السابقة أو المعاصرة، وإنما تدبرت أفاقها في حيطة وحرص، لتفرق بين الصالح النافع وغير الصالح الضار، وبذلك عرفت كيف تنتقي غذائها وتتجنب كل

ما من شأنه أن يعكر صفوها أو يفسد صورتها النقية "[١]

ولعل هذا ما فعله النورسي، حيث أخذ بزمام الحضارة الإسلامية وقاد سفينتها من حيث توقفت حتى يصل من خلال تعاليمها النقية بالبشرية إلى بر التقدم والازدهار، ثقافياً وعلمياً واجتماعياً واقتصادياً وسياسياً.

ولهذا نجد النورسي يتأسف على هؤلاء المقلدين المفتونين بالحضارة الغربية قائلاً:

" يا خسارة أولائك الذين يقلدونهم تقليداً أعمى ويتبعونهم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، فيا أبناء هذا الوطن لا تحاولوا تقليد الإفرنج "[٢]

ويبين النورسي كذلك أن حضارتنا مرهون تقدمها بتمسكنا بتعاليم الدين وبما تحتويه من قيم وأخلاق، حيث إن الشرق لن ينهض ويتقدم بالعلم فقط، فنحن لا نشبه الغربيين في ترك الدين " إذ المهيمن على قلوبناً الشعور الديني، فإن بعث الأنبياء في الشرق يشير به القدر الإلهي إلى أن الشعور الديني وحدة هو الذي يستنهض الشرق ويسوقه للتقدم والرقي "[٣].

"ومن يتأمل كليات رسائل النور يجد أن الأمة الإسلامية تملك رصيداً ضخماً من القيم الهادفة وتوجيهات الإسلام، وهذه القيم كفيلة عند إستثمارها بأن تجعل الأمة الإسلامية في وضع يسمح لها بأن تنمى فلسفتها الحضارية والفكرية والثقافية وتتسابق مع أمم الأرض في بناء حضارة إنسانية"[٤]

أما المترحمون على الحضارة الإسلامية: فيحلوا لهم بين حين وأخر أن يقيموا لها عزاء في شكل مؤتمر أو ندوة يذكرون فيها محاسن حضارة الآباء والأجداد، ومما يكن في التغني بأمجاد الماضي من شحذ للهمم وإستثارة للعزائم، فأننا نأمل ألا يفوتنا أن الحضارة

---

(١) ا د/ سعيد عبد الفتاح عاشور: حضارة الإسلام، ص١١ - ١٣، طبعة المعهد العالي للدراسات الإسلامية، ٢٠٠٤.

(٢) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص ١٨٢.

(٣) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٥١٧.

(٤) ا د/ أحمد عبد الرحيم السايح: قضايا معاصرة في فكر النورسي، ص٣٠، سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٥.

الإسلامية العربية ذبلت، ولكنها كالشجرة الضخمة الممتدة الجذور في الأعماق، لأن جفت أوراقها لإفتقارها إلى الغذاء المناسب، أو لعدم العناية بها، فإنها من الممكن بزوال هذه الأسباب أن تستعيد نضرتها لتستظل البشرية بظلها في الحاضر والمستقبل كما استظلت بظلها في الماضي.

ثم إن ذبول شجرة الحضارة الإسلامية لا يرجع إلى عدم قدرتها على مسايرة التطور العالمي الحديث، وإنما يرجع إلى تقصير أبناء هذه الحضارة وأصحابها وتخليهم عن روحها ومبادئها ومثلها "[1]

ولعل هذا ما فعله النورسي، حيث لم يشغل نفسه بالنويح والبكاء والعويل واللطم والصراخ ولكنه شغل نفسه وجعل كل همه أن يعيد لشجرة حضارة الإسلام نضرتها من خلال يقظة الأمة الإسلامية من سباتها وغفلتها، هذا مع رفضه للانعزال والانزواء بالحضارة الإسلامية والتقوقع بها فقط، بل وبإمدادها من مياه الحضارات الأخرى الصافية وبما ينفعها ويلائمها.

ولعل ما يبرز اعتلاء فكر النورسي أنه لم يدعوا كبقية المجددين والمصلحين بالوقوف عند حدود السلفية الموروثة وصب حاضرنا في قوالب السلف والعودة لمنابعهم فقط، ولكنه أثبت تميزه وانفراده حين دعا إلى التمسك بالسلف من خلال ثورة تجديديه تواكب العصر، وبإستلهام الأصول والثوابت والنظر فيها بعقل معاصر، والمزواجة بين الصالح منها وبين الجديد والعصري لمواجهة التحديات والانطلاق إلى الأمام بفكر عقلاني مستنير بهدي القرآن.

ومن ناحية أخرى فأنه عالج قضية " الحضارة الغربية " من جميع الزوايا، ولم يترك جانبا من جوانب هذه الحضارة إلا وقام بدراسته وبحثه وتحليله ومناقشته، ثم عرضه من خلال معالجة نقدية، مع أنه لم يقف عند حد الرفض والنقد فقط، بل تعداه حتى لا يكون كمن يصف الداء بلا دواء جاعلاً المريض واقفاً على قبره ينتظر في عجل لحظة موته...

---

(١) د/ سعيد عبد الفتاح عاشور: حضارة الإسلام، ص١٢، طبعة المعهد العالي للدراسات الإسلامية،القاهرة.بتصرف

ولكن وصف الداء وبين العلاج البناء، والاستيعاب الموزون بميزان الشرع.

ولكن نود أن نتعرف، هل كان للفلسفة أثر بحكمه على الحضارة الغربية ؟

تصفية "الذات" قبل نقد "الآخر"

لقد كان نقد النورسي للحضارة الغربية امتداد لنقده السابق للفلسفة، لأنه رأي أن سئيات أوربا وتوهمها مساوئها فضائل، وسريان السفاهة والضلالة والانحلال سببها ومرجعها تعفنها بظلمات الفلسفة الطبيعية والمادية.

لهذا " أقر النورسي بوجوب تصفية نفسه من أثر الفلسفات الأوروبية التي علقت به قبل أن يبين أسباب حكمه على الحضارة الغربية بالسفاهة، معلناً بذلك عن بداية مرحلة جديدة في حياته الفكرية والعملية، فقد صرح قائلاً في المذكرة الخامسة من " اللمعة السابعة عشرة ": حينما سار " سعيد الجديد " في طريق التأمل والتفكر، انقلبت تلك العلوم الأوربية الفلسفية وفنونها التي كانت مستقرة إلى حد ما في أفكار " سعيد القديم " إلى أمراض قلبيه نشأت منها مصاعب ومعضلات كثيرة في تلك السياحة القلبية.

فما كان من " سعيد الجديد " إلا القيام بتمحيص فكره والعمل على نفضه من أدران الفلسفة المزخرفة ولوثات الحضارة السفيهة.

فرأى نفسه مضطراً إلى إجراء المحاورة الآتية مع الشخصية المعنوية لأوربا لكبح جماح ما في روحه من أحاسيس نفسانية منحازة لصالح أوربا، فهي محاورة مقتضبة من ناحية ومسهبة من ناحية أخرى "[1]

ورغم تصفيته لذاته قبل نقد الآخر لكي يكون نقده نقداً موضوعياً، فإنه لم يكتفي بذلك فقط بل إنه يدعوا من يسمعه ويقرأ رسائله إلى تصفية ذاته من حسن الظن به (أي النورسي) وبكلامه، وأن لا يقبل كلامه على علاته دون إختيار وتمحيص، ووزن الكلام المقروء والمسموع بميزان الإسلام حيث يقول: " ليس هناك من يوصم نفسه بالفساد، بل غالباً ما يظهر المفسد نفسه بمظهر الصلاح والصواب ...

نعم إنه مثل مشهور (ما من أحد يقول لمخيضه حامض) فعليكم أن تختبروا كل قول

---

(١) بديع الزمان النورسي:اللمعات، صـ١٧٦، وأنظر د/ محمد بتهيله: أعمال مؤتمر العولمة والأخلاق في ضوء رسائل النور صـ٣٠٦.. بتصرف.

تسمعونه ولا تقبلوا أي كلام كان دون اختيار وامتحان، فالكلام الفاسد رواج في عصرنا هذا حتى كلامي أنا لا تقبلوه على علاته- بناءاً على حسن ظنكم بي- وإنما دعوا أي كلام كان يظل على هامش تفكيركم، حتى إذا ما نجح في الاختبار وظهر صدقه وبان معدنه الذهبي، عند ذلك أحفظوه في القلوب ٠

أما إذا كان صدأ- ومن معدن رخيص- فاطرحوه أرضاً غير مأسوف عليه "[1]

أسباب نهضة أوروبا

يبدأ النورسي كأول خطوة يقوم بها في تحديد أسباب النهضة للحضارة الغربية، وكيف وصلت إلى ما هي عليه...

فيرى أن ضيق المكان وكثرة عدد السكان ولطافة المناخ ووفرة الحديد وكثرة الحاجة هي الأسباب التي دفعت أوربا إلى التقدم والرقي فيقول: " إن أوربا على الرغم من كونها عشر الخمس للكرة الأرضية، فإنها جذبت ربع البشر نحوها بلطافة مناخها الفطري، وإنه ثابت أن اجتماع الأفراد الكثيرين يولد الحاجات، فلا يستوعب إنتاج الأرض تلك الحاجات التي تتزايد بأسباب كثيرة – كالتقليد وغيره- ومن هنا تصبح الحاجة أم الاختراع والصناعة، وحب الاستطلاع معلم العلم ٠

نعم إن التوجه نحو الصناعة والميل إلى المعرفة ينشأ من الكثرة فبسبب ضيق المكان في أوروبا وكثرة بحارها وأنهارها التي هي وسائط طبيعية فيها، والتعارف ينتج التجارة، ولكثرة ما فيها من الحديد الذي هو منبع جميع صناعات أوروبا، أعطى لمدينتهم السلاح القوي حتى غصبت مدنيات الدنيا وأغارت عليها "[2]

أراد النورسي من النص السابق أن يبين نعم الله التي أنعم بها على أوربا، وكانت سبباً في نهضته ورقيه، والتي تستوجب الشكر للواهب المنعم، من خلال سعيها لمؤاخاة البشرية ونفعها ولكنها حولت هذه النعم إلى نقم تنشر به الرعب وحمل السلاح، وسعيها للغصب

(١) إحسان قاسم: النورسي حياته وآثاره، صـ٢١٧.

(٢) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٣٦٨.

والإغارة ٠

ولعل هذا سبب من الأسباب التي تجعل من له مسكة عقل أن يرفض حضارة غصبت مدنيات الدنيا، والذي يطلقون عليه ما يسمى الآن بالاستعمار.

ولكن هل كان رفض النورسي للحضارة الغربية مطلقاً وعاماً ٠٠ أم أنه وجد فيها جانباً يأنس فيه الصلاح والنفع...

هذا ما سنتحدث عنه فيما يلي.

أوروبا النصرانية

يعتقد النورسي أن مظاهر التقدم العلمي، الذي تميزت به الحضارة الغربية الحديثة، قد أسهمت فيه بعض التصورات الإيجابية في الفكر النصراني، فقد استثنى في انتقاده لمقومات الحضارة الغربية قائلاً: " ولئلا يساء الفهم، لابد أن ننبه ! أن أوروبا اثنتان..

إحداهما: هي أوروبا النافعة للبشرية بما استفاضت من النصرانية الحقة، وأدت خدمات لحياة الإنسان الاجتماعية بما توصلت إليه من صناعات وعلوم تخدم العدل والأنصاف...

فلا أخاطب – في هذه المحاورة– هذا القسم من أوروبا "[1]

(١) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص١٧٦. وأنظر د/ أحمد عبد الرحيم السايح: قضايا معاصرة، ص٢١. وأنظر د/ محمد بتهيله: أعمال مؤتمر العولمة والأخلاق، ص٣٠٩.

أوروبا المادية

بعد أن خاطب النورسي أوروبا النصرانية النافعة للبشرية، توجه بخطابه إلى أوروبا المادية الضارة والمخربة للبشرية وللكون بقوله: "وإنما أخاطب أوروبا الثانية: تلك التي تعفنت بظلمات الفلسفة الطبيعية، وفسدت بالمادية الجافية، وحسبت سيئات الحضارة حسنات لها وتوهمت مساوئها فضائل، فساقت البشرية إلى السفاهة واردتها الضلالة والتعاسة...

ولقد خاطبت في تلك السياحة الروحية الشخصية المعنوية الأوروبية بعد أن استثنيت محاسن الحضارة وفوائد العلوم النافعة، فوجهت خطابي إلى تلك الشخصية التي أخذت بيدها الفلسفة المضرة التافهة، والحضارة الفاسدة السفيهة.. وخاطبتها قائلاً: يا أوروبا الثانية: اعلمي جيداً إنك قد أخذت بيمينك الفلسفة المضلة السقيمة، وبشمالك المدنية المضرة السفيهة، ثم تدعين أن سعادة الإنسان بهما، ألا شلت يداك وبئست الهدية هديتك، ولتكن وبالاً عليك وستكون...

أيتها الروح الخبيثة التي تنشر الكفر وتبث الجحود، لقد أفسدت- أيتها الروح الخبيثة- البشرية حتى طاشت بتعاليمك فتقاسي منك العذاب المرير بإذاقتك إياها عذاب الجحيم في نعيم جنة كاذبة.

أيتها النفس الأمارة للبشرية... إلى أين تسوقين البشرية.

هب أن أمامنا طريقين، فسلكنا أحدهما، وإذا بنا نرى في كل خطوة خطوها في الطريق الأول مساكين عجزه يهجم عليهم الظالمون، يغصبون أموالهم ومتاعهم ويخربون بيوتهم وأكواخهم بل قد يجرحونهم جرحاً بليغاً تكاد السماء تبكي على حالتهم الفجعة، فأينما يمد النظر ترى الحالة نفسها، فلا يسمع في هذا الطريق إلا ضوضاء الظالمين وصخبهم وأنين المظلومين ونواحهم فكأن مأتماً عاماً قد خيم على الطريق...

لذا يضطر سالك هذا الطريق إلى أحد أمرين:

إما أن يتجرد من إنسانيته، ويحمل قلباً قاسياً غارقاً في منتهى الوحشة، لا يتألم بهلاك الجميع، طالما هو سالم معافى.

أو يبطل ما يقتضيه القلب والعقل .

فيا أوروبا: ما ورطك في هذا الخطأ المشين إلا دهاؤك الأعور، أي ذكاؤك المنحوس الخارق فلقد نسيت بذكائك هذا رب كل شيء وخالقه، إذ أسندت آثاره البديعة إلى الأسباب والطبيعة الموهومة، وقسمت مُلك ذلك الخالق الكريم على الطواغيت التي تعبد من دون الله...

فانطلاقا من هذه الزاوية التي ينظر منها دهاؤك الأعور يضطر كل ذي حياة وكل إنسان أن يصارع وحدة ما لا يعد من الأعداء، ويحصل بنفسه على مالا يجد من الحاجات....

مع أنه لا يكفى كل ما في يده لواحد من مطالبه، فعندما يصاب - مثلاً- بمصيبة لا يرجوا الدواء لدائه، إلا من أسباب صُم، حتى يكون مصداق الآية الكريمة { وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ }[1]

إن دهائك المظلم، قد قلب نهار البشرية ليلاً، ذلك الليل البهيم بالجور والمظالم "[2]

(١) سورة الرعد: آية رقم (١٤)

(٢) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص١٧٦-١٨٠. بأختصار.

الحضارة الغربية وتهميش الدين

بعد أن تحدث النورسي لأوروبا النافعة النصرانية، وأوروبا السفهية الضارة، والتي كانت سبباً في إفساد البشر بدهائها الأعور، ينتقل لبيان مثالب هذه الحضارة والعلة في فسادها وضررها للبشرية، فيقول موضحاً أسباب تعفنها ومساؤها قائلاً: " يا أوروبا التي نأت عن النصرانية وابتعدت عنها وانغمست في السفاهة والضلالة، لقد أهديت بدهائك الأعور كالدجال لروح البشر حاله جهنمية، ثم أدركت أن هذا الحالة داء عضال لا دواء له، إذ يهوى بالإنسان من ذروة أعلى عليين إلى درك أسفل سافلين، وإلى أدنى درجات الحيوان وحضيضها، ولا علاج لك أمام هذا الداء الوبيل إلا ملاهيك الجذابة التي تدفع إلى إبطال الحس وتخدير الشعور مؤقتاً، وكمالياتك المزخرفة، وأهواؤك المنومة... فتعساً لك ولدوائك الذي يكون هو القاضي عليك " [١]

ثم يسوق النورسي بعد ذلك نصاً يبين فيه أن الحضارة الغربية لا تسمع، وصمت أذنها عن تعاليم الدين، فأوقعت البشر في بئر الفقر الأخلاقي والرذيلة، وفتحت الطريق للظلم والاستعباد وارتكاب المحرمات فيقول: " إن المدنية الغربية الحاضرة لا تلقي السمع كلياً إلى الأديان لذا أوقعت البشرية في فقر مدقع، وضاعفت من حاجاتها متطلباتها، وهي التي تتمادى في تهييج نار الإسراف والحرص والطمع عندها بعد أن قوضت أساس الاقتصاد والقناعة وفتحت أمامها سبل الظلم وارتكاب المحرمات...

زد على ذلك فقد ألقت بذلك الإنسان المحتاج المسكين في أحضان الكسل والتعطيل المدمر بعد أن شجعته على وسائل السفاهة .

وهكذا بددت الشوق لديه إلى السعي والعمل، فأضاع الإنسان عمره الثمين سدى بإتباعه هوى المدنية الحاضرة، وبسيره وراء سفاهتها ولهوها " [٢]

---

(١) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص ١٧٨.

(٢) بديع الزمان النورسي: الملاحق، ص ٣٨٠.

وتتوافق رؤية النورسي وحكمه على الحضارة الغربية مع رؤية وحكم " محمد الغزالي " حيث يقول:- "هناك إحساساً عاماً بان هذا التقدم المادي لم يواكبه تقدم روحي، وإن إنسان العصر الحديث لا يختلف كثيراً عن إنسان العصر الأول في غرائزه وشهواته... وإذا كانت ثمة فروق ففي الوسائل لا في البواعث والغايات

بل لقد قيل في إنسان هذا العصر: إن عضلاته أكبر من عقله... والحضارة الغربية أتسع علمها وضاق أدبها، أو طالت ثقافتها وقصرت تربيتها، فهي الآن تصنع أجيالاً لا تعرف إلا الحياة ليومها فوق هذا التراب، وتؤمن أنها لن تحيا مرة أخرى أبداً.

ومن هنا غلب عليها هذا السعار في اقتناص الموجود، والركض وراء المفقود، والقد على من وجد، والازدراء على من فقد...

إنها لا تؤمن بالله واليوم الآخر، ورجال الدين مشغولون بسخائمهم القديمة:

إن كانوا هوداً: فهمهم الأكبر امتلاك أرض الميعاد كما يحلمون .

وإن كانوا نصارى: فهمهم الأكبر استعادة قبر المسيح والثأر ممن أخذوه في العصور الوسطي.

فهل هذا تقدم علمي، أم نجاح للغرائز الهابطة والأغراض الدنيا.. إن العلم مهما تقدم لا يغني عن الإيمان، والإيمان الذي نحترمه هو الذي يعانق العقل وتزدان به الحياة " [1]

ويوجه النورسي الأنظار إلى أن أس أساس حضارتنا هو الدين، وأن ابتعادنا عن الدين والعقيدة الصحيحة كان سبباً لتجميد هذه الحضارة..

وفي المقابل يبرهن على ذلك بأن الحضارة الغربية عندما همشت الدين جانباً زادت عيوبها وقلت حسناتها، فيقول: " إن المدينة الحاضرة الغربية لسلوكها طريقاً مناقضاً لأسس ودساتير السماء، وقيامها بمناهضتها، فقد طفح كيل سيئاتها على حسناتها، وثقلت كفة أضرارها على فوائدها، فلقد أضطرب أمن الناس واطمئنانهم، وأقلقوا وأسنت سعادتهم الحقيقية، فاختل ما هو

(١) محمد الغزالي: مائة سؤال عن الإسلام، ص٢٢٣-٢٢٧، دار ثابت، القاهرة، ١٩٩٦ .بتصرف.

مطلوب من المدينة ومقصود منها. "[١]

(١)بديع الزمان النورسي: الملاحق، ص٣٧٧.

أخلاقيات المدينة الحديثة وموقف النورسي منها

يوجه النورسي دعوته إلى علماء الاجتماع وعلماء الأخلاق ليروا الفرق الهائل بين أخلاقيات الشريعة المعتمدة على الإيمان، وأخلاقيات المدنية الحديثة المادية " مدنية أوروبا ".

فيقرر النورسي: أن مبدأ الإيمان أساس ترتكز عليه كليات الأخلاق، وحين تفتقر المدنية الحديثة على هذا الأساس، فيستولى الحقد والمنافع الشخصية والاحتيال والأنانية والتكلف والرياء والرشوة والخداع، بدلاً من أسس الأخلاق الحميدة التي هي الإخلاص والأخوة والمروءة والمحبة والفضيلة والتضحية ورضى الله والثواب الأخروي، وكانت معاني الإرهاب والفوضى والوحشية حاكمة ومسيطرة تحت اسم النظام والأمن والإنسانية التي يظهرونها، فحينئذ تتسم الحياة بوقاحة وإهمال أطفالها، وسكر وعربدة شبابها، وظلم وتجاوز أقويائها وبكاء وأنين شيوخها...

فلترن آذان الاجتماعيين والأخلاقيين من المعنيين بشئون الإنسان لتعرف الحق والحقيقة "[1]

ولعل هذا ما أكده الأستاذ " محمد فتح الله كولن " من أن النورسي رأى أن أهم مشكلة يجب تناولها هي مشكلة الفوضى (الأخلاقية) النابعة من الكفر والإلحاد .

لذا قضى حياته كلها وهو يؤكد لإنسان عصرنا ضرورة معالجة هذا الداء..

ومن ثم، تناول النورسي أزمة المفاهيم (الأخلاقية) التي تطلقها المدنية الحديثة حتى بات على يقين أنها مفاهيم معكوسة براقة، فيقول: " إن ما تراه المدنية ترقيا ما هو إلا سقوط، واقتداراً ما هو إلا ابتذال، وانتباها ما هو إلا انغماس في نوم الغفلة و(نزاكه) ما هو إلا رياء نفاقي وذكاوة ما هي إلا دسائس شيطانية، وإنسانية ما هي إلا قلب الإنسان

(١)بديع الزمان النورسي: الشعاعات، ص ٢٨٣، ٢٨٤ وأنظر د/ زياد خليل: مؤتمر العولمة والأخلاق، ص٥٤.

حيوانية "[١]

ولهذا فالنورسي يرى أنه ليست هذه المفاهيم فحسب، بل كل المفاهيم المتصلة بالسياسة والاقتصاد والمرأة كلها مفاهيم مغلوطة لأنها لا ترتكز على قاعدة الإيمان بالله تعالى:-

ومن هنا توجه نقد النورسي وذمه للحضارة الغربية لأنها تنشر الكفر وتعمل على خواء الروح وفقرها، فكيف لمن أصيب في قلبه وعقله ووجدانه وروحه بمصائب هائلة أن يسعد بكونه في ذروة الرفاهة والزينة بجسمه ؟

هذه الحالة الجهنمية هي التي أهدتها المدنية للبشر ثم تفطنت لهذا الداء العضال، دواء يبطل الحس بالجملة، وهي الملاهي الجذابة والهوسات الجلابة، فتعساً لها ولدوائها "[٢]

يا أيها الأوروبا: إنك أخذت بيمينك الفلسفة المضلة السقيمة، وبيسارك المدنية المضرة السفيهة، تدعي أن سعادة البشر بهما... شلت يداك وبئست هديتك..

ألا يا ناشر الكفر والكفران... هل يقال لمن روحه مع قلبه في جهنم، وجسمه في جنة كاذبة زائلة: أنه مسعود ؟ "[٣]

لقد خاطب النورسي بقسوة شديدة تناسب شدة استخفاف أوروبا بالإنسان وأخلاقه، مبيناً أن أوربا قد أفسدت البشرية بتعاليمها، وهوت بالإنسان من ذروة أعلى عليين إلى درك أسفل سافلين ولا علاج ولا دواء لها... إلا إبطال الحس وتخدير الشعور. "[٤]

ويبين النورسي أن المدنية الحديثة ولدت ورسخت وأفرزت النكران للخالق المنعم، والكفر والجحود بنعمه.. " نعم.. إن المدنية الدنية الظالمة قد عوقبت بكفرانها بالنعمة الإلهية وعدم إيفائها الشكر لله تجاه ما أنعم عليه سبحانه من الخوارق الحضارية، لصرفها تلك الخوارق إلى الدمار، حتى سلبت سعادة الحياة كلياً، وأردت الناس الذين يعدون في

---

(١)بديع الزمان النورسي: المثنوي العربي، ص١٩١.

(٢) المرجع السابق نفسه: ص ٢٦٨،٢٦٩.

(٣)بديع الزمان النورسي: المثنوي العربي: ص ٢٦٨.

(٤)بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص ١٧٨ وأنظر د/ زياد خليل:أعمال مؤتمر العولمة والاخلاق، ص٥٥.

ذروة الحضارة والمدنية إلى أدنى من دركات الوحوش الضالة، وأذاقتهم عذاب جهنم قبل الذهاب إليها ." [١]

وينتقد بقسوة ترسيخها لأخلاقيات الصراع والجدال، فيقول: " يا أوروبا الثانية الفاسدة: إنك تستندين إلى أسس واهية نخره فتزعمين: أن كل كائن حي مالك لنفسه ابتداءاً من أعظم ملك وإنتهاءاً إلى أصغر سمك، كل يعمل لذاته فقط، ولأجل نفسه فحسب، ولا يسعى أحد إلا للذته الخاصة، ولأجل هذا له حق الحياة، فغاية همته وهدف قصده هو ضمان بقائه واستمرار حياته ." [٢] فنشأ عن ذلك الصراع والمنفعة وعدم التعاون .

وعلى صعيد السياسة يبين النورسي ما سادها من أخلاقيات كالتعصب والعنصرية والديكتاتورية والاستبداد، فبين " أنه ظهر بظهور المدنية الحديثة مفاسد أخلاقية كثيرة، كالتعصب العنصري والأنانية..." [٣]

" ولقد وصف السياسة أنها ألاعيب وكذب وأوحال ملوثة منتنة ووصل إلى قناعة أن السياسة مستنقع عفن، هكذا هي في الواقع، وهكذا تقدمها المدنية الحديثة لأن طرف حبالها بأيديها "[٤] وهذا يوحي بهيمنة الغرب على سياسات الدول الضعيفة، وخاصة بلدان العالم الثالث.

ولقد أعلن النورسي أمام محكمة أفيون وحذر كل التحذير من الانقياد لقوانين ودساتير غير أخلاقية للمدنية السفيهة ، إنها قوانين جائرة وحشية كما هي في البلشفية، وحذر من الانحياز إليها تحت ضغوط أعدائنا ودسائسهم، فليس هناك قانون في العالم كله ولا إنسان يملك ذرة من الإنصاف يكره الأخريين على قبول ما عندهم بترك ما عندنا " [٥]

---

(١) بديع الزمان النورسي: الملاحق، ص ١٢٢ .

(٢) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص ١٧٩ .

(٣) بديع الزمان النورسي: الشعاعات، ص٣٤٧.

(٤) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ص٥٨، ٥٩، ٧٠.

(٥) بديع الزمان النورسي: الشعاعات، ص٤٦٧ .

فالحل في نظر النورسي يكمن في نبذ تقليد أخلاقيات أوروبا، ونبذ التمسك بأذيال قيمهم ورقيهم ونبذ الاستبداد، لأنه لا يأتي بالأمن والاستقرار.

ويخاطب من يدعوا إلى تلقف أخلاقيات المدنية الغربية في شتى المجالات بقوله:

" إن كانت غايتكم من سوق المؤمنين قسراً إلى المدنية تسهيلاً لإدارة دفة النظام وبسط الأمن في ربوع المملكة، فاعلموا جيداً أنكم على خطأ جسيم، إذ تسوقون الأمة إلى هاوية طريق فاسد، لأن إدارة فئة من الفاسقين الفاسدين أخلاقياً والمرتابين في اعتقادهم وإيمانهم وجعل الأمن والنظام يسود فيما بينهم، لهو أصعب بكثير من إدارة ألوف الصالحين المتقين ونشر الأمن فيما بينهم. "[1]

ويوضح النورسي أنه " لا يحصل الرقي والتقدم ولا ينشر الأمن والنظام في ربوع البلاد بهذا الأسلوب، بل هم بحاجة إلى تنظيم مساعيهم وبث الثقة فيما بينهم وتسهيل وسائط التعاون فيما بينهم، ولا تتم هذه الأمور إلا بإتباع الأوامر المقدسة في الدين والثبات عليها من إلتزام التقوى من الله سبحانه وابتغاء مرضاته. "[2]

ولهذا فإن " معظم هؤلاء المدنين (الذين تخلقوا بأخلاق الحضارة الغربية المادية) لو قلبت باطنهم على ظاهرهم لرأيت في صورتهم سيرة القرد والثعلب والثعبان والدب والخنزير. "[3]

وذلك بسبب فقدان الحضارة الغربية بوصلة الاتجاه الذي يدلها على الإيمان، ويكسبها ثوب العفة والفضيلة والرحمة والشفقة تجاه بني جنسهم، ولهذا يقول النورسي: " إن المدنية الحديثة قد أطلقت العنان لشهوات النفس وحظوظها غير آبهة بما يعرف بالاقتصاد الذي هو العزة والكرم بعينه، بينما الخسة والذل هما حقيقة ما يقوم به المسرفون المبذرون من سخاء ظاهري "[4]

---

(١) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص١٨٦،١٨٨.

(٢) المرجع السابق نفسه: ص١٨٨.

(٣) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص٨٥٥.

(٤) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص٢١٧،٢٢٤. بتصرف.

حيث " أن الإسراف وعدم القناعة وأكل الحرام تتنافى مع الحكمة الإلهية، وأن الاقتصاد والقناعة تنسجم مع الحكمة الإلهية . "[١]

ويوضح النورسي أن العودة إلى الذات والانطلاق من مقومات التصور الإسلامي والتخلق بأخلاقيات القرآن الكريم كفيل بأن يرقى بالأمة الإسلامية إلى خير مما عليه مدنية الغرب .

ويرى أن" القوى الخمس" التي تؤهل الإسلام للرقي المادي تتمثل في: " قوة الحقيقة الإسلامية والحاجة الملحة والحرية الشرعية والشهامة الإيمانية والعزة الإسلامية "[٢]

بل ويذهب النورسي – وفق معطيات الوحي – إلى أبعد من ذلك ويتنبأ بظهور المدنية الإسلامية بقوله: " لما كانت مدنية أوربا لم تتأسس على الفضيلة والهدى، بل على الهوس والهوى وعلى الحسد والتحكم، تغلبت سيئات هذه المدنية على حسناتها إلى الآن، وأصبحت كشجرة منخورة بديدان المنظمات الثورية الإرهابية، وهذا دليل مؤشر قوي على قرب انهيارها وسبب مهم لحاجة العالم إلى مدنية آسيا الإسلامية التي ستكون لها الغلبة عن قريب "[٣]

ومن ناحية أخرى فإن النورسي يرى أن تنحي أوروبا عن الدين كان سبباً رئيسياً في تفشي السفاهة والانحلال والإلحاد، فيقول: " فضلاً عن العلل الثلاثة التي ولدتها المدينة وهي الحاجة الماسة والميل إلى السفاهة وكثرة الأمراض المذكرة بالموت، فإنه بتفشي الإلحاد وتوغله فيها أبدياً فجرعتها نوعاً من عذاب جهنم في الدنيا."[٤] ومرجع ذلك " أن أوروبا قد نسيت رب كل شيء وخالقه، إذا أسندت آثار العالم البديعة إلى الأسباب الطبيعية. "[٥]

ومن أجل بعدها عن الدين والتعاليم السماوية انجرفت في تيار الرذيلة والأخلاق

---

(١) المرجع السابق نفسه: ص٢٢١.

(٢) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٤٩٩، ٥٠٠.

(٣) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٥٠١.

(٤) بديع الزمان النورسي: الملاحق، ص٣٨٠.

(٥) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص١٨٠.

الذميمة حتى أنها لا تغار على عرض أو شرف، بل أطلقت النساء للإباحية وأمتهن كرامتهن، فيقول:

" والمدنية السفيهة أطلقت النساء من أعشاشهن، وامتهنت كرامتهن، وجعلتهن متاعاً مبذولاً بينما شرع الإسلام يدعوا النساء إلى أعشاشهن رحمة بهن، فكرامتهن فيها وراحتهن في بيوتهن وحياتهن في دوام العائلة، فالطهر زينتهن، والخلق هيبتهن، والعفة جمالهن، والشفقة كمالهن، والأطفال لهوهن... إن تكشف النساء دون قيد أصبح سبباً لتكشف أخلاق البشر السيئة وتناميها. "[1].

والنورسي يدير كاميراته على زوايا مختلفة من الحضارة الغربية لالتقاط مواقع الظلم والقبح والانحراف في أخلاقياتها الذميمة.. ومظهراً ومبيناً البقع الرمادية والسوداء في جسد الحضارة الغربية..

والمهم، فإن النورسي أنطلق في موقفه هذا من فطرة سليمة وعقيدة خالصة، حرصاً منه على هوية أمته الثقافية والأخلاقية من الضياع، حيث أن التاريخ شاهد على مر العصور أن زوال الأمم وحضاراتها كان سببه البعد عن الله، والانحراف الأخلاقي، فما من أمة تمسكت بدينها الصحيح وأخلاقها القويمة إلا وارتقت وتقدمت حضارتها، وصدق الشاعر حين قال

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن ذهبت أخلاقهم ذهبوا.

ولعل ذلك هو ما عبر عنه " رفاعة الطهطاوي " بقوله: إن للتمدن أصلين:-

١- معنوي: وهو التمدن في الأخلاق والعوائد والآداب... ويعني التمدن في الدين والشريعة.

٢- تمدن مادي: وهو التقدم في المنافع العمومية[2].

إن النورسي لم يرفض أخلاق الحضارة الغربية الحديثة لأنها تعارض نظرية فكرية أو

---

(١) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص٨٧٤.

(٢)ا. د/ محمود عمارة: من مظاهر الحضارة في الإسلام، ص٥، التوحيد بشبين الكوم،المنوفية، ٢٠٠٦ م.

فلسفية يعتنقها كلا... ولكن النورسي يرفض هذه الحضارة التي تعفنت بالأخلاق الذميمة لأنها لا تتوافق ولا تتلائم، بل تتعارض وتتنافر وتتباعد عن صرح الأخلاق الإسلامية التي شيدها " المعصوم صلى الله عليه وسلم " وصاحب الأخلاق الكريمة، الذي وضح وبين أن دعوته جأت لتمام صرح الأخلاق الفاضلة، التي تتطلبها الطبيعة البشرية، وتلائم فطرتها، فقال:

" إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق "[1].

(١) مسند الإمام أحمد: رقم (٨٥٩٥).

النورسي يرفع شعار (خذ ما صفا ودع ما كدر)

المدنية الحديثة وأمة المعيارية:

إن المطلع على رسائل النورسي يجد أنها جاءت لتؤكد للناس وللمجتمعات أن الأمة الإسلامية أمة المعيارية، ويكاد أن يكون مفهوماً أن الأمة الإسلامية " بوسطيتها واعتدالها بميزان الشرع " هي أمة المعيار الذي وكل إليها أمر الشهادة على الناس والقيادة بهم بما تملك من قيم معصومة محفوظة في الكتاب والسنة.

والمعيارية في شخصية الأمة، والتي جاءت كليات رسائل النور تكشف عنها تعني:

أن الأمة الإسلامية في أفرادها ومجموعها تبقى بمأمن من التحديات، لأنها عند التزامها بقيمها تعرف ماذا تأخذ وماذا تدع، فالتحديات الفاسدة - من أوربا الفاسدة وغيرها- لا تستطيع في ظل تمسك الأمة بمعياريتها أن تذيب ثقافة الأمة، ولا أن تلغي هويتها، ولا أن تسيطر علي قيمها.

ويكاد يكون مفهوماً: أن التحديات الفاسدة إنما تمتد ابتداءً في داخل المجتمعات الفاقدة للمعيار ومركز الرؤية.

لذلك تتركز وسائل التحديات في محاولة إخراج الأمة عن قيمها المعيارية لتصبح مهيأة لتقبل ما يلقى إليها دون القدرة على اختياره ومعايرته بالشكل المطلوب..

ومما يساعد على نجاح مسار المعيارية السليمة، هو تحصين النفس الإنسانية بمدرسة الإيمان، لأن الإيمان يخط المسار، ويضع المنهاج، ويحول بين النفس وبين دواعي الانحراف بما توفرها لها من قيم فعالة تعالج ما قد يبتلى به الإنسان، وتعينه على المواجهات الضرورية، لإعادة شحذ الفاعلية وإستعادة بناء الذات، وإنهاء حالة الاسترخاء والكسل "[1].

ولذلك فإن النورسي يتعامل مع المدنية الغربية على أساس دستور (خذ ما صفا ودع ما كدر) وفي ضوء هذا الدستور سيأخذ من الأجانب كل ما يعين على الرقي من علوم

---

(١)ا. د/ أحمد عبد الرحيم السايح:، ا.د/ سامى عفيفي، قضايا معاصرة في فكر النورسي، ص٢٤، ٢٥.

وصناعات، أما العادات والأخلاق السيئة فهي ذنوب المدنية ومساوؤها التي لا يتبين قبحها كثيراً لكونها محاطة بمحاسن المدنية الكثيرة "[١].

إذا فالنورسي من خلال دستوره المعياري يرشدنا أن نبتعد عن عادات المدنية الحديثة ومساوؤها الأخلاقية، وفي المقابل يوجه أبصارنا إلى منافع هذه المدنية، وبصفة خاصة العلوم والصناعات التي كانت سبب في تقدمها ٠

ثم نراه يبرز الحكمة من أخذنا لهذه المنافع، لأنها أدوات نستطيع بها أن نحارب الجهل والفقر في حياتنا الداخلية، فيقول: " إن الأجانب يسحقوننا تحت تحكمهم المعنوي بسلاح العلوم والصنائع ونحن سنجاهد بسلاح العلم والتقنية، الجهل والفقر والخلاف الذي هو ألد أعداء إعلاء كلمة الله أما الجهاد الخارجي فنحيله إلى السيوف الألماسية للبراهين القاطعة للشريعة الغراء لأن الغلبة على المدنيين إنما هي بالإقناع، وليس بالإكراه كما هو شأن الجهلاء الذين لا يفقهون شيئاً، فأعظم وسيلة لإعلاء كلمة الله في زماننا هذا هو الرقي المادي "[٢].

ولكن.. إذا كان النورسي يتخذ موقفاً انتقائياً من المدنية الحديثة الغربية، فما هو المعيار الذي على أساسه يتم الانتقاء ٠٠ ؟

يجيب النورسي بأننا سنأخذ من الحضارة الغربية ما يتوافق مع ثوابتنا الإسلامية، والشريعة هي المرتكز الذي على أساسه يتم التعامل مع منتجات الحضارة الغربية، فيقول:

" إن نهر العلوم الحديثة والثقافة الجديدة الجاري والآتي إلينا من الخارج كما هو الظاهر ينبغي أن يكون أحد مجارية قسماً من أهل الشريعة كي يتصفى من شوائب الحيل ورواسب الغش والخداع، لأن الأفكار التي نمت في مستنقع العطالة، وتنفست سموم الاستبداد، وانسحقت تحت وطأة الظلم، يحدث فيها هذا الماء الآسن العفن خلاف المقصود، فلا بد

(١) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٤٦٨، ٥٣٠.

(٢) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص ٥٢٧.

إذن من تصفيته بمصفاة الشريعة "[١]

ويبين النورسي أنه سوف يمنع مساوئ المدينة الحديثة أن تتسرب إلى المجتمع المسلم مشاهراً في وجهها سيف الشريعة، وذلك حفاظاً على حدود الحرية الإسلامية الحصين، فيقول:

" سنمنع بسيف الشريعة مساوئ المدنية وذنوبها من الدخول إلى حدود حريتنا ومدنيتنا حفاظاً على فتوة مدنيتنا وشبابها.

وينبغي لنا الإقتداء باليابانيين في المدنية، لأنهم حافظوا على تقاليدهم القومية التي هي قوام بقائهم، وأخذوا بمحاسن المدنية من أوروبا، وحيث أن عاداتنا القومية ناشئة من الإسلام وتزدهر به، فالضرورة تقتضي الاعتصام بالإسلام "[٢].

ويتوافق " محمد الغزالي " مع النورسي في نفس الرؤية المعيارية الانتقائية التي نأخذ بها من الحضارة الغربية، وإلى أي مدى نقتبس منها، على أن نتمسك بأخلاقنا وتقاليدنا كما تمسك بها اليابانيون، فيقول:

" كان رجال التعليم والتربية في اليابان أيقاظاً عندما اتصلت بلادهم بأوربا في القرن الماضي أو قل: كان حراس التقاليد الموروثة صاحين عندما قررت اليابان الاستفادة من التفوق الصناعي الغربي، فقد أعدوا لكل جديد يقتبس مكانه فوق أرضهم ومساحته المادية والأدبية التي لا يعدوها وهيمنوا ببصر حاد على الآثار المتوقعة حتى لا تفلت من أيديهم أو تتحرك بعيداً عن خططهم المرسومة..

ومع التزام هذا الخط الصارم، بقيت الشخصية اليابانية محفوظة السمات ثابتة الملامح فانتقلت الصناعة الغربية إلى اليابان، ولم يتحول اليابانيون إلى أوربيين في عقائدهم أو لغتهم أو آدابهم وأخلاقهم.. إنهم فعلوا ولم ينفعلوا.. وقادوا ولم ينقادوا..

---

(١) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٥٣٠ وانظر. د/ أحمد السايح: قضايا معاصرة، ص٢٧ (حيث يبين توافق النورسي وابن رشد في كيفية التعامل مع الحضارة الغربية والأخذ منها).

(٢) بديع الزمان / صيقل الإسلام / ص٤٦٨.

أما العرب في الحضارة الحديثة فهي شعوب مستهلكة، تتنافس الدول الصناعية على إلهائها بالأدوات البراقة والمخترعات المريحة "[١]

وتتوافق رؤية المعيارية عند الإمام " محمد عبده " مع ما ذهب إليه النورسي " بأن نأخذ بأسباب الحضارة الغربية والمادية التي لا تتعارض مع الدين الإسلامي الحنيف.

لذا لم يتردد " محمد عبده " من الدعوة إلى الاستفادة بالنظم الغربية ما دامت لا تخالف الشرع والعقل، ولهذا فهو لم يكن معبراً عن الفكر الغربي بدون وعي، وإنما عن إدراك بأن يأخذ ما ينفعه وطنه الإسلامي، ولم يخرج عن الإطار الديني الذي حدده الشرع في أصوله "[٢]

(١) محمد الغزالي: مائة سؤال عن الإسلام، ص٥١٣،٥١٣.

(٢)ا. د/ محمد ممدوح علي محمد العربي: الأخلاق والسياسة، ص١٤٥،١٤٧. (الهئية المصرية للكتاب)

أسس المدنية الحديثة

في غمرة الهزائم التي توالت على الأمة الإسلامية في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي إبان الحربين العالميتين، ومع شدة انبهار المنهزمين والمغلوبين من أبناء الأمة الإسلامية بكل ما تقدمه المدنية الحاضرة من أفكار ومناهج وأساليب تنطوي على الكثير من السراب والوهم.

وفي أثناء تضارب وتناقض مواقف أهل العلم من أبناء الأمة من المدنية الحاضرة، فهم ما بين معجبين بها ومغرمين بتمجيدها وتقليدها.

وبين رافضين لها جملة وتفصيلاً وناكرين جميع محاسنها.

ولعل ما سجلناه على صفحات البحث سابقاً يبين أن الإمام النورسي حاول تعريف الأجيال بالوجه الحقيقي لهذه المدنية، منصفاً إياها ومفرقاً في الوقت نفسه بين محاسنها ومساوئها .

كما أنه ألقى بظلال وارف من التحقيق والتوضيح على الهدف الأسمى والغاية المثلى والدستور الأعلى والمقصد الأعظم الذي تهدف المدنية الحاضرة إلى تحقيقه، وتسخر كافة إمكاناتها وإنجازاتها من أجل تمكين مرتكزاتها وفرضها على العالم أجمع..

ولبيان ما انتهى إليه النورسي من ضبط محكم لأسس المدنية الحاضرة، نرى أن نورد عدداً من النصوص التي أودعها بياناً وتوضيحاً لتلك الأسس، حيث انه عنى بتأصيل القول في تلك الأسس والمرتكزات في عدد من مؤلفاته ورسائله القيمة، منها الكلمات (الكلمة الخامسة والعشرون) والمكتوبات (نوى الحقائق)

أما في كتابه " صيقل الإسلام " فقد زاد هذه الأسس توضيحاً وتحقيقاً وتأصيلاً، حيث قال ما نصه في معرض إجابته عن سبب رفضه المدنية الحاضرة: " قال أحدهم من المجلس: لم ترفض هذه المدنية ؟ قلت: لأنها تأسست على خمسة أسس سلبية: فنقطة استنادها هي (القوة) وهذه شأنها (الاعتداء) وهدفها وقصدها (المنفعة) وهذه شأنها (التزاحم) ودستورها في الحياة (الجدال والصراع) وهذا شأنه (التنازع) والرابطة التي

تربط المجموعات البشرية هي (العنصرية) والقومية السلبية التي تنمو على حساب الآخرين، وهذه شأنها (التصادم) كما نراه، وخدمتها للبشرية خدمة فاتنة جذابة هي (تشجيع هوى المنفعة) وإثارة النفس الأمارة وتطمين رغباتها وتسهيل مطالبها، وهذا الهوى شأنه (إسقاط الإنسان من درجة الملائكية إلى درك الحيوانية الكلبية وبهذا تكون سبباً لمسخ الإنسان معنوياً، فمعظم هؤلاء المدنيين لو أنقلب باطنهم بظاهرهم لوجد الخيال تجاه صور الذئاب والدببة والحيات والقردة والخنازير، ولأجل هذا فقد دفعت المدنية الحاضرة ثمانين بالمائة من البشرية إلى أحضان الشقاء، وأخرجت عشرة بالمائة منها إلى سعادة موهمة زائفة وظلت العشرة الباقية بين هؤلاء وأولئك، علماً أن السعادة تكون سعادة عندما تصبح عامة للكل أو للأكثرية بيد أن سعادة هذه المدنية هي لأقل القليل من الناس "[1]

والمتصفح لرسائل النور يجد أنه لم تخلُ جميعها من الإشارة إلى هذه الأسس بصورة مباشرة وغير مباشرة •

كما إن النورسي أولى كل واحد من هذه الأسس جانب التحقيق والتأصيل والتفصيل، مما يعبر عن عميق فهمه لهذه الأسس وما يترتب عليها من مسائل وقضايا تحتاج من الباحثين والمفكرين والمعنيين البحث والتنقيب فيها.

(١) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٣٥٧.

أسس المدنية الإسلامية من المنظور النورسي

يعرض الإمام النورسي مرتكزات المدنية الإسلامية أو مدنية " القرآن" بوصفها المدنية الأساس والأم من جهة ٠

وبوصفها المدنية التي ينبغي للبشرية الاتجاه إليها والاحتماء بها في ظل الظروف العالمية الراهنة من جهة أخرى ٠

ولهذا فأن النورسي يعقب نقده العلمي الرصين للمدنية الحاضرة بتقديم أسس المدنية البديل الأكمل والأشمل روحاً ومنهجاً ومضموناً ومآلاً ٠

ومن خلال الإطلاع على " رسائل النور " للنورسي، نجد أنه تعرض بالإشارة إلى أهم الأسس التي تقوم عليها المدنية الإسلامية، وذلك في عدد من كتبه ورسائله (كالكلمات والمكتوبات) بالإيجاز وبصورة مركزة ٠

ولكن في كتاب " صيقل الإسلام " نجده قد تناول أسس المدنية الإسلامية بصورة أكثر تفصيلاً وتوضيحاً، فقال ما نصه: " أما المدنية التي تأمرنا بها الشريعة الغراء وتتضمنها فهي التي ستكشف بانقشاع هذه المدنية الحاضرة، وتضع أسساً إيجابية بناءة مكان تلك الأسس النخرة الفاسدة السلبية.

نعم إن نقطة استنادها (أي المدنية الإسلامية) هي الحق بدلاً من القوة، والحق من شأنه العدالة والتوازن، وهدفها الفضيلة بدلاً من المنفعة، والفضيلة من شأنها المحبة والتجاذب وجهة الوحدة فيها والرابطة التي تربط بها المجموعات البشرية هي الرابطة الدينية والوطنية والمهنية بدلاً من العنصرية، وهذه شأنها الأخوة الخالصة والسلام والوئام والزود عن البلاد عند اعتداء الأجانب، ودستورها في الحياة التعاون، بدل الصراع، والجدال والتعاون من شانه التساند والاتحاد، وتضع الهدى بدل الهوى ليكون حاكماً على الخدمات التي تقدم للبشر وشأن الهدى رفع الإنسانية إلى مراقي الكمالات ٠

فهي إذن تحدد الهوى، وتحد من النزعات النفسانية وتطمئن الروح وتشوقها إلى المعالي

". [1] وهذه هي أهم الأسس التي أودعها الإمام النورسي للمدنية الإسلامية والتي تدعوا إليها الشريعة الإسلامية وتحث عليها....

ومن خلال ما سبق يتضح أن النورسي لم ينظر إلي الحضارة الغربية بنظارة سوداء كما نظر إليها الرافضون، ولم ينظر إليها بنظرة وردية تجعله ينجرف وراء بريقها بدون وعي ، ولكنه نظر إليها بمنظار الشرع الوسطى المعتدل، الذي لا إفراط فيه ولا تفريط، فأستطاع أن يستوعب نشأتها وتطورها، وأن يتبين أصولها وأهدافها، الأمر الذي أتاح له متسعاً من الحرية الفكرية التي مكنته من وضعها في حيزها الحقيقي، وتسليط نظرات النقد البناء عليها دون تحيز أو افتراء، كل ذلك في إطار من الموضوعية والبعد عن الأحكام المسبقة.

كما أن النورسي رأى أنه ليس من العدل والإنصاف رفض هذه الحضارة رفضاً مطلقاً ولا قبولها قبولاً مطلقاً، لأن التطرف في كلتا الحالتين مضر، ولهذا اختار موقفاً وسطاً، أكد من خلاله أن المدنية الحاضرة ليست خيراً محضاً ولا شراً محضاً، وهو ما عبر عنه بقوله: " إن أوروبا اثنتان ".أوروبا النصرانية وأوربا المادية..

ولعل أبرز ما يشد الانتباه في هذا النص هو الربط الوثيق بين الحضارة والدين وجعله قاعدة مهمة من قواعد فكره، ومرتكزاً أساسياً من مرتكزاته .

فهو يرى أن الجانب المضيء من الحضارة الغربية إنما إستفاض من النصرانية الحقة، أي من ذلك البصيص الخافت من الوحي الرباني الذي بقي عالقاً بالمسيحية، والذي زرع في الإنسان حب المعرفة وحب البشر والمحبة والإخاء والفضيلة وتسخير الكائنات لفائدة الإنسانية...

وخلاصة القول:-

أن النورسي اختط لنفسه طريقاً في التعامل مع الحضارة الغربية، ليصبح في مصاف المجددين والمصلحين أصحاب العقلية الهادفة المستنيرة، بعيداً عن المتشددين الذين يرفضون كل ما هو غربي وغير إسلامي، وبعيداً عن السذج الذين انبهروا ببريق الحضارة

---

(١) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٣٥٩.

الغربية القشري، ورقصوا وهتفوا لتفاهاتها.

أما النورسي فإنه رأى أنه ليس من العدل والإنصاف رفض هذه الحضارة رفضاً مطلقاً ولا قبولها قبولاً مطلقاً لأن التطرف في كلتا الحالتين مضر، حيث أعلن قبوله التعامل مع الحضارة الغربية (ولكن بحذر) والأخذ منها ما هو نافع ويوافق مبادئ الإسلام ورفض ما وجده ضبابياً وملوثاً لأنه يخالف تعاليم الإسلام وبيئة المسلمين، وكل ذلك يتم بميزان الشرع بعيداً عن الأهواء والرغبات.

وبهذا يتوافق النورسي مع كثير من المصلحين والمجددين، ومنهم " الإمام محمد عبده والمفكر محمد الغزالي ".

ولعل أهم ما يميز موقف النورسي من الحضارة الغربية ما يلي: -

- تصفية ذاته من أي أحكام مسبقة، حتى يكون نقده لهذه الحضارة نقداً موضوعياً ثم إلمامه بموضوع النقاش من جميع جوانبه وزواياه، حتى تتضح له الرؤيا بأكبر قدر ممكن، وهذا ما دعاه لدراسة أسباب نهضة أوروبا، وكيف وصلت إلى ما هي عليه، والأسس التي قامت عليها، ورصده لزوايا مختلفة منها لالتقاط مواقع الظلم والقبح والانحراف في أخلاقياتها الذميمة، ومظهراً البقع الرمادية والسوداء في جسدها.

- عدم حكمه على الحضارة الغربية بالجزافية والإطلاق، ولكنه قام بفرز ما هو صالح وقام بتجميد الضار، ويظهر ذلك جلياً من خلال محاورته للجانب الصالح في التعامل وهي أوروبا النصرانية، والتي اكتفى بالإشارة إليها في محاورة قصيرة دون تفصيل.

ثم محاورته المفصلة والتي لا تخلوا منها جميع الرسائل، وهي أوروبا التي ابتعدت عن الدين والأخلاق واستعبدت الناس بالأهواء والملذات والمنفعة، وتعفنت بظلمات الفلسفة الإلحادية، وكل هذا من أجل تعريف الأجيال بالوجه الحقيقي بهذه المدنية منصفاً إياها، ومفرقاً في الوقت نفسه بين مساوئها ومحاسنها.

- سجل النورسي في رسائله أسس المدنية الحديثة، وأولى كل واحد من هذه الأسس جانب التحقيق والتأصيل والتفصيل، وألقى بظلال وارف من التوضيح لبيان الهدف الأسمى والغاية المثلى والدستور الأعلى الذي تهدف المدنية الحديثة إلى تحقيقه وتسخر كافة

إمكاناتها وإنجازاتها من أجل تمكين مرتكزاتها وفرضها على العالم أجمع.

ثم يعقب النورسي موقفه العلمي الرصين للمدنية الحديثة بتقديم أسس المدنية البديل والأكمل والأشمل روحاً ومنهجاً ومضموناً ومآلاً، وهي المدنية الإسلامية.

وهذا يعبر عن عميق فهمه لكل من أسس المدنية الحديثة...وأسس المدنية الإسلامية وما يترتب عليهما من مسائل وقضايا تحتاج من الباحثين والمفكرين والمعنيين البحث والتنقيب فيها.

- إن أبرز ما يشد الانتباه في موقف النورسي من الحضارة الغربية هو الربط الوثيق بين الحضارة والدين، وجعل الدين قاعدة مهمة من قواعد فكره ومرتكزاً أساسياً من مرتكزاته.

المبحث الرابع
موقف النورسي من علم الكلام

ويشمل على الموضوعات التالية:-

رؤية النورسي لعلم الكلام.

تجديد العقائد.

أهمية العقيدة في منهج النورسي التجديدى.

موقف النورسي من علم الكلام ودعوته للتجديد.

النورسي وتجديد علم الكلام.

موقف النورسي من علم الكلام

رؤية النورسي لعلم الكلام:

" ترتبط رؤية النورسي لعلم الكلام بقضية الإصلاح التي اشترك فيها مع زعماء الإصلاح المحدثين في العالم الإسلامي مثل " محمد عبده وابن باديس ومالك ابن بني ومحمد إقبال " وغيرهم

وتنطلق هذه الرؤية عند النورسي من معايشة القرآن الكريم وفهم آياته البينات واستبطان حقائقها في عالم الأفاق والأنفس، ليحقق نوعاً من التوازن في فكر الإنسان المسلم...

والواقع أن النورسي لم يهتم فقط بإصلاح علم الكلام، ولكن اهتمامه كان منصباً في البداية على تغيير ذاتية الفرد والمجتمع، وتنوير عقيدة كل منهما، من أجل خلق ذاتية الأمة وبعدها يمكن إصلاح أي علم مهما كان اسمه.

وإذا كان تجديد علم الكلام مرتبط بتحديد العقائد الإيمانية، فالأولى من تجديد العلم ذاته هو تجديد العقائد التي يعبر عنها هذا العلم.. أي الذي سيكون العلم خادماً لها.

ولكن.. كيف تتجدد العقائد الإيمانية، مع أن العقائد ذاتها بوضعها معبرة عن نصوص نطق بها الوحي أو عبرت عنها السنة النبوية الشريفة ثابتة " [1] فكيف نجددها إذن ؟

تجديد العقائد:-

إن المقصود بتجديد العقائد:- هو تجديد هذه العقائد داخل النفوس بإصلاح بواطنها

---

(١) د/ عادل محمود بدر: أعمال مؤتمر العولمة والأخلاق، المؤتمر السادس،ص٢٧٠، ٢٧١ بحوث عربية.،سوزلر.

عملاً بقول الله تعالى { إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ } [١] وهذا المبدأ الذي رسخه الوحي القرآني يعني أن بداية التجديد والإصلاح تكون من الداخل وليست من الخارج، إنها البداية من الذات الحاملة لعقائد الإيمان، فإذا لم تتجدد فلا حاجة بتجديد علوم يضيع هدفها سدى.

ومن هنا سقط الفكر الإسلامي في دائرة التقليد، لأن العقائد تحولت إلى رسوم دون أن تدق أبواب الجوارح الداخلية للإنسان فتجعل منه خليفة الله ظاهراً وباطناً، ومن حيث كونه مرآة عاكسة للصفات الربانية ٠ " [٢]

إذا فرؤية النورسي لعلم الكلام كان يهدف بها أولاً إلى تجديد حيوية العقيدة في القلوب والأفكار وفي الداخل وفي الشعور، وعندئذ تنبثق العلوم في منظومة حيوية تنطق بما تحمله العقيدة الصحيحة من حيوية وقدرة على إحداث الانطلاق والتغيير.

أهمية العقيدة في منهج النورسي التجديدي

إن أهمية العقيدة في منهج النورسي التجديدي قائمة على أن العقيدة أساس كل بناء وصلاحها مؤذن بصلاح الأحوال جميعها، كما أن الخلل فيها يؤدي إلى الضياع والخذلان في شتى مناحي الحياة، لذا جعل قضية الإيمان هي القضية الأساسية التي كرس لها حياته وفكره، ووظف لها كل طاقاته فيقول: " إن دعوتنا هي الإيمان.. وإن زماننا هذا هو زمان خدمة الإيمان، ووظيفتنا هي الإيمان، وخدماتنا تنحصر في الإيمان.

وقد أتخذ النورسي من رسائل النور وسيلة لإنقاذ أسس الإيمان وأركانه، لا بالاستفادة من الإيمان الراسخ الموجود، وإنما بإثبات الإيمان وتحقيقه وحفظه في القلوب وإنقاذه من الشبهات والأوهام بدلائل كثيرة وبراهين ساطعة ٠ " [٣]

ويبرز النورسي أهمية العقيدة من خلال تأييده لقول الإمام الرباني بأن الكشف عن

---

(١) سورة الرعد: آية رقم (١١).

(٢) د/ عادل محمود بدر: أعمال مؤتمر العولمة والأخلاق فى ضوء رسائل النور، ص٢٧١. بتصرف.

(٣) بديع الزمان النورسي: الملاحق، ص١٠٥ وانظر٠ د/ أحمد محمد الجلي: أعمال مؤتمر العولمة والأخلاق، النورسي وتجديد دراسات العقيدة الإسلامية، ص٢٣٧، ٢٣٨. بتصرف.

حقائق الإيمان أفضل من البحث عن الأذواق والكرامات كما هو شأن الصوفية حيث " إن انكشاف مسألة صغيرة من مسائل الإيمان لهو أفضل في نظري من مئات من الأذواق والكرامات "[١]

حيث أن مباحث العقيدة تتعلق بأخطر قضية في حياة الإنسان وهي قضية الإيمان، هذا الإيمان الذي يسمو به " إلى أعلى عليين فيكتسب بذلك قيمة تجعله لائقاً بالجنة، بينما يتردى بظلمة الكفر إلى أسفل سافلين، فيكون في وضع يؤهله لنار جهنم " [٢]

ونلمس إدراكه لأهمية العقيدة من خلال التنبيه إلى وظيفته ورسالته، فهو يقول لمن يظن أنه صاحب طريقة صوفية " ليس هذا العصر بعصر تصوف وطريقة إنما هو عصر إنقاذ الإيمان وإنما إنقاذ الإيمان يكون بإحيائه في قلوب المؤمنين وبالتصدي للشبهات " [٣]

وترجع أهمية العقيدة عند النورسي لما لها من آثار، وارتباطها بالقيم الأخلاقية والأنماط السلوكية .

لهذا دعا النورسي إلى تخلق المسلمين بأخلاق الله تعالى، وأكثر من التذكير بجلال الله وجماله وإحسانه لعباده وحكمته في خلقه وكماله، ليلفت نظر المسلم إلى التخلق بتلك الأخلاق الإلهية والتحلي بما تدل عليه، ولا يكفي كما يقول أن نتعلم أن الله حكيم، ولا ينبغي الحكمة

ولا نتجللها، كما لا يكفي أن نعلم أن الله رحيم ولا نرحم ولا نتراحم .

ولهذا ربط النورسي الإيمان بآثاره النفسية والواقعية، وأعاد وشائج القربى والتلاحم لجزئيات العقيدة.

وترجع أهمية العقيدة عند النورسي إلى ما يمده الإيمان بالله للإنسان بنظرة مميزة للعالم

---

(١) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص٥٧٤.

(٢) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص٣٤٨.

(٣) أ/ عبد الوهاب بوخلخال: أعمال مؤتمر العولمة والأخلاق، موقف النورسي من علم الكلام، ص٢٨٩، ٢٩٠.

فبدلاً من النظرة الموحشة المتشائمة التي يولدها الإلحاد وتتولد لدى الغافلين الضالين، نجد أن المؤمن ينظر إلى الكون ويراه " كتاباً بليغاً كتبه الأحد الصمد، ومدينة منسقة عمرها الرحمن الرحيم، ومعرضاً أقامة الرب الكريم لإشهار مصنوعاته "[١]

كما أن الإيمان بالله يزود المؤمن بإجابة شافية على تلك الأسئلة المحيرة التي حارت فيها الفلسفة والإنسانية وضلت فيها الأمم، فبهذا الإيمان: ينكشف السر المغلق للأسئلة المحيرة ..

من أين يأتي سيل الموجودات، وقافلة المخلوقات ؟

وإلى أين المصير ؟ ولم جاء ؟ وماذا يعمل ؟

وبسر التوحيد تتحقق مزايا الكون وكمالاته، وتدرك الوظائف الإلهية للموجودات، وتتقرر نتيجة خلق المخلوقات وتعرف أهمية المصنوعات، وتبرز ما في هذا العالم من مقاصد إلهية "[٢] والإيمان يحدث توازناً في عقل الإنسان وعواطفه: فالعقل الضال الذي يسير بغير هدى ويتخبط في الضلال يصبح آله تعذيب " ووسيلة إزعاج بما يجمع من آلام الماضي الحزين ومخاوف المستقبل الرهيبة، بينما الإيمان يعالج هذه الأزمة الداخلية بمعنى التوحيد وأعماله القلبية.

والعقيدة لها أثر كبير ووظيفة اجتماعية عظيمة لما تقوم به في تقوية الروابط الاجتماعية وتوثيق عري الوحدة والمودة بين أفراد المجتمع، لأن " الإيمان بعقيدة واحدة يستدعي حتماً توحيد قلوب المؤمنين بها على قلب واحد، ووحدة العقيدة هذه تقتضي وحدة المجتمع "[٣]

ولهذا فأنه نظراً لأهمية العقيدة " فأنه ينبغي لهذا العصر من مجدد له شأنه ليقوم بتجديد الدين والإيمان، وتجديد الحياة الاجتماعية والشريعة، وتجديد الحقوق العامة والسياسة الإسلامية ولكن أهم تلك الوظائف الثلاث، هو التجديد في مجال المحافظة على الحقائق

---

(١) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص٥٢٧.

(٢) بديع الزمان النورسي: الشعاعات، ص١٤.

(٣) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ص٥٥. وانظر. د/ أحمد محمد الجلي: أعمال مؤتمر العولمة والأخلاق، ص٢٥٥، ٢٥٤.

الإيمانية فهي أجل وأعظم تلك الدوائر الثلاثة..

لذا تبقى دوائر الشريعة والحياة الاجتماعية والسياسية في الدرجة الثانية والثالثة بالنسبة إلى الإيمان ." [١]

ونستطيع أن نقف على أهمية العقيدة عند النورسي وربطها لديه بالحركة التجديدية الإصلاحية من خلال عرض ما ذكره الأستاذ " إحسان قاسم " لحاجة المجتمع التركي إلى تجديد العقيدة في القلوب وتفعيل دورها في المجتمع لتؤدي وظيفتها في جميع مناحي الحياة ومواجهة المد الإلحادي فيقول: " في تلك السنوات الحالكة كان الإسلام يتعرض لزلزلة كبيرة في تركيا، فالحرب ضد الإسلام تقودها الحكومة بكل أجهزة الدعاية والأعلام التي تملكها، وبأقلام جميع المنافقين والمتزلفين وأعداء الإسلام من الكتاب والصحفيين، في الوقت الذي كممت فيه أفواه دعاة الإسلام وحيل بينهم وبين الدفاع عن عقيدتهم .

لذلك فقد تعرضت أسس الإسلام وأصوله ومبادئه الأولية إلى الشك والإنكار في نفوس كثير من الشباب الذي لم يكن يجد أمامه مرشداً وموجهاً .

لذلك فقد قرر الأستاذ سعيد النورسي أن يحمل تلك الأمانة الكبرى على كاهله، وأن يحاول إنقاذ الإيمان في تركيا...

نعم. تلك كانت هي المسألة الرئيسية التي لا تتحمل التأجيل أو التسويف أو الاهتمام بأي أمر عداها " [٢]

---

(١) بديع الزمان النورسي: الملاحق، ص١٩٦.

(٢) إحسان قاسم: النورسي حياته وآثاره، ص ٧١. د/ أحمد محمد الجلي: أعمال مؤتمر العولمة والأخلاق،ص٢٣٨

موقف النورسي من علم الكلام ودعوته للتجديد

إن المنهج الكلامي وإن كان قد لبى حاجات المجتمع في الدفاع عن العقيدة الإسلامية وقابل التحديات التي واجهت الأمة في فترة من التاريخ، فإنه لم يلبث أن أغرق في الجدل وغرق في مناهج الفلاسفة ومصطلحاتهم، ومن ثم لم يوفق في عرض قضايا العقيدة وإيجاد القناعة بها "[1]

" لهذا فإنه لم يقنع علم الكلام القديم روح النورسي المتأججة بنار الإصلاح والتجديد، لأن علماء الكلام رغم اعتمادهم على الوحي الإلهي، إلا أنهم عجزوا عن الفهم الحقيقي لآياته، بما ينكشف عنه من روح القناعة والاطمئنان، فانغلق علمهم عليهم، وصار علم كلام علماً مغلقاً، يعتمد اصطلاحياً على قواعد خاصة بأصحابها، ترتد في جوهرها إلى صراع عصور ماضية " [2].

وقد أشار المتكلمون أنفسهم إلى ذلك وعبروا عن خيبة أملهم في الكلام كمنهج برهاني يقنع الخاصة، ويبعث اليقين والطمأنينة في نفوس العامة، وعدم جدوى الكلام ونفعه •

" فالشهرستاني " يعبر عما شاهده من حيرة كثير من المشتغلين بالمناهج الكلامية فيقول:-

لقد طفت في تلك المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم

فلم أر إلا واضعاً كف حائر على ذقن أو قارعاً سن نادم

و" الغزالي " في بحثه عن اليقين، وبعد أن خبُر الكلام تعلماً وتعليماً وتأليفاً يقول:-

" فصادفته علماً وفياً بمقصوده غير واف بمقصودي "

---

(١) د/ أحمد محمد الجلي: أعمال مؤتمر العولمة والأخلاق، المؤتمر السادس لبديع الزمان، ص٢٣٩.

(٢) د/ عادل محمود بدر: أعمال مؤتمر العولمة والأخلاق، المؤتمر السادس لبديع الزمان، ص٢٦٢.

ويذهب الغزالي إلى القول: بأنه " لا يحصل عن هذا العلم ما يمحو بالكلية ظلمات الحيرة في اختلافات الخلق "

ويعبر " فخر الدين الرازي " عن عدم قناعته شخصياً بمنهج المتكلمين وكيف أنه أضاع عمره سدى في البحث عن اليقين من هذا الطريق فيقول:-

نهاية إقدام العقول عقال وأكثر سعي العالمين ضلال.

وأرواحنا في وحشة من جسومنا وغاية دنيانا أذى ووبال.

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا.

لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن "

وقد كانت هذه الأقوال والاعترافات وأمثالها عاملاً هاماً من عوامل الشك في قيمة الكلام الإيجابية، من حيث تثبيت العقيدة وترسيخ اليقين . "[1].

ولم يلبث علم الكلام أن أصابه الجفاف وأخذ يتجمد، هذا بالإضافة إلى غياب الوظيفة الدفاعية لعلم الكلام، والتي جعلته ينفصل عن الواقع، ويهمل التحديات الواردة على العقيدة الإسلامية وأصبحت سائر كتب التوحيد المؤلفة تتلهى بالشرح والتهميش والتحشية عن القضية الحقيقية التي هي مواجهة ما يجد من الشبة الموجهة للعقيدة الإسلامية، أو على أضعف الإيمان تجديد أساليب وطرق الردود على الشبة القديمة ذات العناصر المستديمة بما يناسب أوجه الإقناع للعقليات المتجددة

وقد عم هذا الجمود الذي أصبح عليه علم الكلام كلاً من المضمون والأسلوب، فنجد أنفسنا أمام المناقشات نفسها، ومع الأدلة نفسها رداً على الخصوم ذاتهم كالمعتزلة والفلاسفة وسواهم من الذين انقرضوا"[2]

الأمر الذي دفع أبن خلدون إلى القول: " ينبغي أن يعلم أن العلم الذي هو علم الكلام

---

(١) د/ أحمد محمد الجلي: أعمال مؤتمر العولمة والأخلاق، المؤتمر السادس لبديع الزمان، ص٢٣٩، ٢٤٠.

(٢) أ/ عبد الوهاب بوخلخال: أعمال مؤتمر العولمة والأخلاق، المؤتمر السادس لبديع الزمان، ص٢٨٨.

غير ضروري لهذا العهد على طالب العلم، إذ الملحدة والمبتدعة قد انقرضوا، والأئمة من أهل السنة كفونا شأنهم فيما كتبوا ودونوا، والأدلة العقلية إنما احتاجوا إليها حين دافعوا ونصروا، وأما الآن فلم يبق منها إلا كلام تنزه الباري عن كثير من إيهاماته وإطلاقه.

ورغم النتيجة التي وصل إليها ابن خلدون بعد تلخيصه لمسيرة علم الكلام، وهي كون هذا العلم قد فقد قيمته، ولم تعد له حاجة لانتهاء أهل البدع وشبهاتهم، فإن النورسي يذهب إلى عكس هذه النتيجة تماماً، فيرى أن علم الكلام أو علم العقيدة من أوكد العلوم في هذا العصر لأن " الضروريات الدينية التي لا مجال فيها للاجتهاد لقطعيتها وثبوتها، والتي هي في حكم القوت والغذاء قد أهملت في العصر الحاضر، وأخذت بالتصدع، فالواجب يحتم صرف الجهود وبذل الهمم لإحياء هذه الضروريات وإقامتها " [١]

ويرى النورسي أن (الملحدة والمبتدعة) لم ينقرضوا، بل أن العصر الذي يعيش فيه عصر الإلحاد والفلسفات المادية التي تهدد حقائق الإيمان[٢].

ومن ناحية أخرى يبين النورسي " أن العصر الذي يعيش فيه قد جمدت به الدراسات الكلامية، وفقدت العقيدة أثرها في نفوس الناس، كما أن التحديات التي كان يواجهها الفكر الإسلامي لم يعد يفيد معها أسلوب الكلام القديم، بل كانت في حاجة إلى أسلوب جديد منطقي في أساسه، وعملي في أدلته، وواقعي في معالجته، ومنسجم مع روح العصر ومعبر عنه بأسلوب واضح قريب إلى العقول جميعاً " [٣].

ويقول النورسي " إن قسماً من مصنفات أغلب العلماء السابقين والكتب القديمة للأولياء الصالحين يبحث عن ثمار الإيمان ونتائجه وفيوضات معرفة الله سبحانه وتعالى، ذلك لأنه لم يكن في عصرهم تحد واضح ولا هجوم سافر لجذور الإيمان وأسسه، إذ كانت تلك الأسس متينة ورصينة، أما الآن فإن هناك هجوماً جماعياً منظماً عنيفاً على أركان

---

(١)، بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص٥٦٢، ٥٦٣، وانظر د/ أحمد محمد الجلي: مؤتمر العولمة والأخلاق، ص٢٤٠.

(٢) عبد الوهاب بوخلخال: أعمال مؤتمر العولمة والأخلاق، ص٢٨٩.

(٣) د/ أحمد محمد الجلي: أعمال مؤتمر العولمة والأخلاق، المؤتمر السادس لبديع الزمان، ص٢٤٠.

الإيمان وجذوره، ولا تستطيع تلك الكتب التي كانت تخاطب المؤمنين فحسب أن تقف أمام هذا التيار القوى ولا أن تقاومه وتصده "[١]

ومن خلال ما سبق يتضح أن النورسي كان على قناعة بأهمية علم الكلام أو العقيدة، وأن قناعته هذه لن تأتي ثمارها إلا من خلال تجديد هذا العلم (علم الكلام) وصياغته بما يتواءم وتحديات الواقع وحاجات العصر وتفعيل وظيفته بشقيها، إحياء الإيمان .. ورد الشبهات.

ومما يدعم أن النورسي كان مدركاً لضرورة تجديد علم الكلام، تصريحه بما يدل على أنه كان واعياً بهذه الضرورة أثناء كتابته لرسائل النور والتي يعتبرها علم كلام حقيقي أو على الأقل تمهيداً لإنشاء علم كلام حقيقي يتجاوز جميع ما كتبه السابقون على اختلاف مسالكهم ومشاربهم.

يقول- مجيباً على طلب أحد تلامذته -: " تذكرون في رسالتكم رغبتكم في تلقي درس في علم الكلام منى،.. أنتم يأخي تتلقون ذلك الدرس فعلاً، فما استنسختموه من (الكلمات) دروس منورة لعلم الكلام الحقيقي .

فقد قال علماء محققون كالإمام الرباني: سيبين أحدهم في آخر الزمان علم الكلام- أي المسائل الإيمانية الكلامية لمذهب أهل الحق – بياناً جلياً، بحيث يفوق على جميع ما كتبه أهل الكشف والطريقة الصوفية، فيكون وسيلة لنشر تلك الأنوار، حتى أن الإمام الرباني قد رأى نفسه ذلك الشخص.

فأخوك هذا العاجز الفقير الذي لا يذكر بشيء لا يمكنني أن أدعي – بما يفوق حدى ألف مرة- أنني ذلك الشخص المنتظر، إذ لست أهلاً لأن أكون ذاك من آية ناحية كانت..

ولكني يمكنني أن أقول: أنني أظن نفسي خادماً لذلك الشخص المنتظر، أهيئ الميدان لمجيئه وجندياً من جنود طلائعه "[٢]

---

(١) بديع الزمان النورسي: الملاحق، ص١٠.

(٢) بديع الزمان النورسي: الملاحق، ص٧٥. وانظر. عبد الوهاب بوخلخال، أعمال مؤتمر العولمة والأخلاق، ص٢٩٢.

النورسي وتجديد علم الكلام

" لقد أدرك كثير من المصلحين ما انتهى إليه علم الكلام من جمود، وكيف عبثت به في نهاية الأمر أيدي المفرقين حتى خرجوا به عن قصده وبعدوا به عن حده، فانبري بعضهم يريدون أن يعودوا إلى سالف عهده حامياً للعقيدة من كل تشويش، بادئين بإعادة ربطة بتحديات الواقع وحاجات العصر، فكان الأفغاني ومحمد عبده وابن باديس ووحيد الدين خان ومصطفى صبري وجاءت جهود النورسي أيضاً ضمن هذا المسار " [1] وأعد نفسه لتحمل هذه المسئولية إعداداً علمياً متميزاً فخبُر الكلام ومدارسه، ووقف على مصطلحات المتكلمين وأفكارهم.

" والنورسي يعلن تقديره لعلم الكلام، وثنائه على جهود علمائه، ولكن في الوقت نفسه نقد هذا العلم وكشف عن قصوره..

فالنورسي كان على معرفة وثيقة بهذا العلم ودقائقه، إذ درس الكلام وأستوعب منهجه وقضاياه، ويتضح ذلك جلياً من خلال رسائله، إذ نجده يستخدم المصطلحات الكلامية مثل: إبطال الدور والتسلسل والمحال وواجب الوجود وغيرها من المصطلحات الكلامية.

كما أنه أستخدم بعض أدلة الكلام مثل: دليل التمانع ودليل الحدوث والإمكان، ولكنه حين أستخدم دليل التمانع تميز على المتكلمين بأن جعله دليلاً يقينياً لا ظنياً كما هو الحال عند المتكلمين أما دليلي الإمكان والحدوث فقد أشار النورسي إلى أنهما دليلان تشعبا من القرآن ولكن البشر أفسداهما فأصبحا جدليين عقيمين مليئين بالشكوك والأوهام " [2].

ونرى النورسي يعلن صراحة أن رسائل النور يمكن أن تكون مصدراً (لعلم كلام جديد) من شأنه أن يقي المسلم من مزالق الأفكار الفلسفية الضارة، وأن ينقل المسلم من

---

(١) عبد الوهاب بوخلخال: أعمال مؤتمر العولمة والأخلاق في ضوء رسائل النور، ص٢٨٨، ٢٨٩.

(٢) أحمد محمد الجلي: أعمال مؤتمر العولمة والأخلاق، ص٢٤١.

دائرة المعرفة المجردة إلى ميدان السلوك الذي يمتزج فيه العقل مع القلب، أو الفكر مع الوجدان، ولهذا يقول متحدثاً عن بعض رسائله:- " فيمكن لمن ضل من جهة الفكر والعلم أن يستفيد منها ما ينجيه من مزالق الأفكار الفلسفية، بل يمكن أن يستخرج منها بالتهذيب والتنظيم والإيضاح عقائد إيمانية وعلم كلام جديد في غاية القوة والرصانة لرد ضلالات أفكار هذا الزمان.

بل يمكن لمن اختلط عقلة بقلبه أو التحق قلبه بعقله المتشتت في آفاق الكثرة أن يستنبط منها طريقة كسكة الحديد متينة أمينة، يسلك فيها تحت إرشاد القرآن..

كيف لا وكل ما في رسائلي من المحاسن ما هو إلا من فيض القرآن الكريم "

إن هذا النص بالغ الدلالة في التأكيد على وعي النورسي بالقصور الذي طرأ على علم الكلام في صورته القديمة، وكذا ضرورة إنشاء علم كلام جديد يتناسب مع الظروف المستجدة .

ونلمس هذا خصوصاً عند قوله "... وعلم كلام جديد في غاية القوة والرصانة لرد ضلالات أفكار هذا الزمان"

إذاً فالمطلوب إيجاد علم كلام جديد سماته القوة والرصانة والقدرة على الوفاء بحاجات العقل والقلب فيمزج الفكر بالوجدان تحت إرشاد القرآن الكريم "[1].

والمتصفح لرسائل النور يجد أنها تومىء إلى إبراز هدف النورسي الأول من بين أهدافه لتجديد علم الكلام أو العقيدة، وهو تفصيل الأهداف القرآنية، وشرح حقائق الإيمان ومعرفة الخالق الصانع، وهي تعبر عن مدرسة حياتية إيمانية ترتبط ارتباطا وثيقاً بعصر النبوة، حيث كان الوحي في بؤرة الشعور، وكانت الحياة ترجمة له دون مذهبية علمية، ولأن ذلك هي رؤية الرسائل، فإن الإصلاح ينصب على كل ما هو إسلامي..

ولهذا لم تكتف بشرح حقائق القرآن حسب إدراك العصر وفهمه فقط، بل إنها نهجت بشرح القرآن على ضوء العلوم بضرب الأمثلة على ذلك، وبإيضاح أن كتاب الكون الذي

---

(١) بديع الزمان: المثنوي العربي، ص٢٠٦.

يكون القرآن ترجمته الأزلية يتعلق بمنظومة العلوم جمعياً، الذي يعد الإسلام جوهرها ٠

ورسائل النور بهذا أثبتت أن الحقائق القرآنية تتطابق مع الحقائق الكونية، ومن ثم فقد حثت الرسائل على قراءة كتاب الكون عندما أشارت إلى أن حروف كتاب الكون وآياته تشكل منابع الحقائق القرآنية.

فالنورسي باعتماده الكامل على القرآن الكريم، قد عمد إلى البساطة والشمول، فخلص علم الكلام من تجريده النظري المعقد الذي لا يفهمه إلا الخواص، فحوله من علم مغلق إلى علم مفتوح، ومن هنا عبر عن حقائق التوحيد ودقائق العقيدة الإسلامية بشكل لا يفهمه المسلم وحسب بل يعايشه ويعانيه قلباً ووجداناً، لأنها صارت حاضرة فوق صفحة الكون، فهو منهج قرآني شامل يبدد الغفلة والظلمة ويظهر أنوار التوحيد بإستخدام العلم، وهو بهذا لا يؤسس علماً للكلام فقط، بل ويضع الرؤية الشاملة للوجود ككل "[1]

" وبدلاً من الكلام، استخدام النورسي أسلوب القرآن في عرض مسائل وجود الله تعالى ووحدانيته، ومسائل النبوة والآخرة والقضاء والقدر بشكل واضح جلي، يخاطب قلب الإنسان وفكره وعقله وخياله، بل جميع لطائفه معاً، ولا يحصر الكلام في العقل أو الذوق، بل ويورد أمثلة مادية من واقع المرء وبيئته، من النباتات والحيوانات والنجوم ومن النفس الإنسانية ٠

وقد أطلق بعض الدارسين على الطريق الذي أتبعه النورسي بأنه علم كلام جديد أو علم كلام قرآني مبني على القرآن ويستقي من القرآن المنهج والمصطلح ٠

بينما يذهب كاتب آخر إلى أنه وإن كان لا بد من إطلاق مصطلح الكلام على منهج النورسي فيجب تقييده بأنه علم كلام من نوع خاص يتميز عن علم الكلام التقليدي بأن منطلقة القرآن الكريم، وأن الاستدلال فيه لا يعود للعقل فحسب بل ينضم إليه مخاطبة القلب "[2]

---

(١) د/ عادل محمود بدر: أعمال مؤتمر العولمة والأخلاق في ضوء رسائل النور، ص ٢٧٥، ٢٧٦.

(٢) د/ أحمد محمد الجلي: أعمال مؤتمر العولمة والأخلاق في ضوء رسائل النور، ص ٢٤١، ٢٤٢.

" وبهذا المنهج استطاع النورسي أن يحول قضايا العقيدة إلى قضايا حيه، ينفعل بها المسلم ويتفاعل معها، ويكون لها تأثير على سلوكه ورؤيته للكون وتقييمه للأحداث والمواقف.

وبهذا كان النورسي جديراً بانشغال الباحثين لدراسة آراؤه الكلامية، وجديراً بأن يعد – كما يقول الأستاذ محسن عبد الحميد – من أكابر المجددين ليس في العصر الحديث فحسب، بل في تاريخ الإسلام "[1].

وإن كان من الغريب أن بعض الذين تحدثوا عن جهود الإصلاح في مجال علم الكلام لم يشيروا إلى جهود النورسي، على الرغم من سبقه الزمني لبعض المصلحين، وعلى الرغم من وضوح رؤيته التجديدية.

وخلاصة القول:-

أنه تتلاقى رؤية النورسي لعلم الكلام وتجديد العقيدة في النفوس، وربطه بقضية الإصلاح مع زعماء الإصلاح المحدثين في العالم الإسلامي.

ونظراً لأهمية علم الكلام أو العقيدة وحاجة المجتمع التركي للعقيدة الصحيحة فقد حمل النورسي على عاتقه بتحقيق هذا المطلب، بالكشف عن حقائق الإيمان وإحيائه في القلوب، والتصدي للشبهات، مع ربط العقيدة بالقيم الأخلاقية والأنماط السلوكية، من أجل تفعيل دورها في المجتمع، ولكي تؤدي وظيفتها في جميع مناحي الحياة ومواجهة المد الإلحادي.

وقناعة من النورسي بأهمية علم الكلام، رأى أن قناعته هذه لن تأتي ثمارها إلا من خلال تجديد هذا العلم وصياغته بما يتوائم وتحديات الواقع وحاجت العصر وتفعيل وظيفته بشقيها: إحياء الإيمان في القلوب... ورد الشبهات.

ومن أجل تحقيق ذلك نرى أن النورسي قام بأهم أمرين:-

- تنقية علم الكلام من التعقيدات اللغوية، والتي يصعب على العامة فهمها، ثم تنقيته

---

(١) د/ أحمد محمد الجلي: المرجع السابق نفسه، ص٢٥٨.

من المصطلحات التي اقتبسها علماء الكلام قدياً من الفلسفات اليونانية، وذلك من أجل تحويل مسار علم الكلام من علم مغلق... إلى علم مفتوح، ومن علم معقد... إلى البساطة والشمول.

- تفصيل الأهداف القرآنية حسب إدراك العصر وفهمه، وعلى ضوء العلوم بضرب الأمثلة وبشرح الحقائق الإيمانية ومعرفة الخالق، ثم قيامه بإثبات أن الحقائق القرآنية تتطابق مع الحقائق الكونية وأن حروف كتاب الكون وآياته تشكل منابع الحقائق القرآنية.

ولعل اعتماد النورسي الكامل على القرآن جعل كثير من الباحثين والدارسين والمختصين أن يطلقوا على محاولته التجديدية " بعلم كلام جديد " أو " علم كلام قرآني ".

المبحث الخامس

موقف النورسي من التصوف.

ويتضمن على الموضوعات التالية:-

موقع التصوف في المشروع الإصلاحي عند النورسي.

رؤية النورسي للتصوف.

موقف النورسي من نظرية وحدة الوجود.

موقف النورسي من مفهوم الولاية.

موقف النورسي من إسقاط بعض المتصوفة للسنة النبوية.

النورسي يتنصر للطريقة.

النورسي ورؤيته التجديدية للمنهج الصوفي.

موقف النورسي من التصوف

موقع التصوف في المشروع الإصلاحي عند النورسي:

لقد أدرك النورسي طبيعة المرحلة التي تمر بها تركيا وما تستدعيه من جهد فكري واطلاع واسع على تطور العلوم الحديثة، لذلك قام بعملية مراجعة كبرى لرصيد الأمة من العقيدة والشريعة وفق نظرة شمولية نقدية، وتخطيط هادىء ورصين من أجل إنقاذ الإيمان وتخليص الإسلام من التشوية.

فلاحظ النورسي (وهو رجل المرحلة): أن التصوف الذي كان قائماً على تربية الروح وتطهير النفس الإنسانية وتجسيد القيم الإسلامية الرفيعة، أصبح في العصور المتأخرة أسرع الميادين في الثقافة الإسلامية تعرضاً للانحلال، وعاملاً من عوامل التخلف، بل إن بعض الطرق الصوفية تحولت في أغلب الأحوال إلى مراكز لابتزاز أموال الأتباع والمريدين، وإلى أبواق لمحاربة ما تبقى من العلوم العقلية والعلمية.

وهكذا انفصل الفكر عن الواقع، والإسلام عن الحياة، وفقد المجتمع الإسلامي شخصيته المتوازنة، وأستسلم للنفس الأمارة بالسوء عندما خرج عن هدى القرآن والسنة، وأتبع الفلسفات الإشراقية والحلولية والمادية والعلمانية.....

فأصبح بعض دعاة التصوف (خاصة قبيل مرحلة الاحتلال الأوروبي) معاول الانحراف والهدم، واصطباغ الدين بصبغة الجهل والتخريف، وتفضيلهم التقليد على الاجتهاد والابتكار والاتجاه إلى الشعوذة والتدجيل، فكانت النتيجة أن يرتمي الجيل الجديد من الشباب المسلم في أحضان الثقافة المادية والعلمانية...

لذلك لاحظ النورسي إلى احتياج عصره إلى ما يثبت حقائق الإيمان وإعادة ربط التصوف بالحياة من أجل حل الأزمات التي لحقت بالمسلمين فكراً وممارسة، انطلاقاً من

قاعدة إيمانية صلبة تحفظ للأمة توازنها أمام مغريات الحضارة المادية "[١].

ولهذا يقول النورسي:" إن هذا العصر ليس بعصر تصوف وطريقه، وإنما هو عصر إنقاذ الإيمان"

ويبين أنه لو كان الشيخ " عبد القادر الكيلاني والشاه النقشبندي والإمام الرباني، وأمثالهم من أقطاب الإيمان (رضوان الله عليهم أجمعين) في عصرنا هذا لبذلوا كل ما في وسعهم لتقوية الحقائق الإيمانية والعقائد الإسلامية، لأنها منشأ السعادة الأبدية، وأن أي تقصير فيهما يعني الشقاء الأبدي.

نعم، لا يمكن دخول الجنة من دون إيمان بينما يدخلها الكثيرون جداً دون تصوف "[٢]

" لقد نهض النورسي برسالة التجديد، وذلك عندما وجد المدنية المعاصرة قد خرجت بالإنسان عن فطرته الطبيعية، وأورثته صفات وأخلاقيات أبعدته تماماً عن الاعتدال والفضيلة، وتبلدت لديه مشاعر الرحمة، وتحجرت عواطفه تحت تأثير العناء اليومي الذي سببته المدنية الصناعية والذي كان من نتائجها القلق النفسي وفقدانه لشهية الحياة، ونزوع متزايد نحو البهيمية والهروب نحو المجهول ٠

فالبشرية اليوم تعاني من أزمة معرفية عميقة، وفقدان لبعض الأخلاق والقيم الإلهية فأصبحوا في أمس الحاجة إلى إرشاد روحي ودعوة إلى الله...

ولكل هذه الأسباب مجتمعه، حرص النورسي على أن يكون التصوف الذي يستعان به في هذه الفترة (الإصلاحية التجديدية) هو الذي يحرص على الالتزام بأحكام الشريعة، وهو الذي يقاوم البدع،والضلالات التي علقت ببعض أهله، وهو التصوف الذي يجعل من أهدافه بناء الإنسان ليكون إيجابياً مهتماً بقضايا أمته، مسهماً في ترقيتها، غير ناكص عن أداء واجبه نحوها ولا متقهقر، أو لائذ بكهوف فكرية يحتمي بها من تبعات المدافعة

---

(١) د/ محمد الصمدي: تجديد التصوف عند النورسي ص٦٧٥،٦٧٤ مؤتمر العدالة، استانبول – تركيا /٢٠٠٧م

(٢)بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ص٧٩ وانظر٠ د/ محمد الصمدي: أعمال مؤتمر العدالة، ص٦٧٥...

والممانعة "[١]

(١) د/ فردوس أبو المعاطي المرسي: العدالة والتصوف من خلال رسائل النور، ص٦٦٢، ٦٦٣، مؤتمر العدالة، استانبول – تركيا، ٢٠٠٧ م بتصرف.

رؤية النورسي للتصوف

لا شك أن النورسي قد عرف التصوف معرفة تامة وخبُر أصوله وخاض بعض تجاربه وقرأ لعالقة التصوف وتأثر بهم وشهد بإيجابيات التصوف التي تخدم الإيمان وتدعمه، ووقف على مزالق الطريق الصوفي ومخاطره.

وقد كان للطريقة النقشبندية أثر كبير عليه إذ أستقى منها كثيراً من المصطلحات واستفاد من منهجها التربوي "[1].

لقد ألزم النورسي نفسه حياة الزهد والتأمل والعبادة، وقد صرح في جميع آثاره بخواطر صوفية عميقة تنم عن إشراق روحي وفتح إلهي لا يتوفر مثله إلا لمن جاهد نفسه في الله، فهداه الله السبل الواضحة مصداقاً لقوله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ}[2]،[3]

ولكن رغم اعتراف النورسي بخواطره الصوفية إلا أنه " كان مباين لمعشر المتصوفة في تجربته ونهج سلوكه...

لابد من التأكيد – في هذا الصدد – أن الفارق بينه وبين طوائف المتصوفة شاسع جداً، إذ أن الغفلة التي يطلبونها وينضمون فيها على صعيد السلوك، كانت تتم غالباً على حساب الوعي بكينونة الأمة الإسلامية بمصيرها، بمعنى أن السالك كان يجهد لنفسه في اغتنام الأسرار واللذات، وفي توسيع المرصود الشخصي من اللطائف والسوانح، إذ غايته الأسمى هي تحقيق النجاة والحظوة للنفس حصراً...

أما النورسي فإن روحه التي استماتت في التجرد وطلب التواصل مع الله، قد ظلت متشابكة مع واقع أمته، ومنغرزة في همومها وفيما يكتنفها من أوضاع التأخر والحيدة عن

---

(١) أ.د/ أحمد محمد الجلي: النورسي وتجديد دراسات العقيدة مؤتمر العولمة والأخلاق، ص٢٤٢. بتصرف.

(٢) سورة العنكبوت: آية (٦٩)

(٣) وانظر.د/ فردوس أبو المعاطي: العدالة والتصوف،مؤتمر العدالة، ص٦٦٢، بتصرف.

طريق الحق وفيما يتراوحها من ابتلاءات وامتحانات على يد الأعداء .

وكل ذلك جعل النورسي يحي بوجدانين متلازمين...وجدان تحركه محبته لله، التي كان ديدنها المطرد أن تتمخض له وتصفو بحيث تتسامي عن رجاء ادني هدف أو حظوة إلا هدف الانصياع لتعاليم الله.

ووجدان آخر موصول بواقع الأمة الإسلامية، ومبتلي بمحنها وبما كانت عليه من أوضاع زرية.

فالنورسي حافظ ويتوازن شاق ومثالي بين قلب يمور بمحبة الله ومخلوقاته، وبين الاهتمام والاغتمام لدين الله وللمصير المتكس الذي آل إليه أمر المسلمين "[١].

وهذا يبرز لنا أن النورسي " أدرك لحقيقة الصراع الحضاري الذي تمر به الأمة، فخطط لمواجهة المعترك ورد الشبهات المعاصرة بالمنطق العقلي القرآني الواضح "[٢]

ولعل هذا ما دعاه أن ينفي عن نفسه أن يكون شيخاً صوفياً فنراه يقول: " أيها السادة إني لست شيخاً صوفياً، إنما أنا عالم ديني "[٣]

ونراه كذلك يؤكد أن " مسلك رسائل النور ليس مسلك الطريقة الصوفية بل هو مسلك الحقيقة "[٤]

وإذا كان النورسي سجل على نفسه أنه ليس صوفياً، فإن هذا لا يجوز أن يدفع إلى توهم انقطاع صلته بالتصوف متى كان هذا التصوف يعني تزكية النفس واكتساب خصال الخير والتصون من أمراض القلوب، وهذه وظائف لا تتوقف بالضرورة على الانتماء إلى طريقة معينة أو على الالتزام بورد بذاته، لأن تحقيق هذه المعاني هو هم كل مسلم، وهو انشغاله اليومي الدائم "[٥]

---

(١) أ.د/ عشراتي سليمان: النورسي في رحاب القرآن، ص١٣٧، ١٣٩. بتصرف.

(٢) د/ محمد الصمدي: تجديد التصوف عند النورسي، مؤتمر العدالة، ص٦٧٥. بتصرف.

(٣) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ص٧٩.

(٤) بديع الزمان النورسي: الملاحق، ص٢٦٣.

(٥) د/ محمد الصمدي: تجديد التصوف عند النورسي، مؤتمر العدالة، ص٦٧٥.

ولكن حين لاحظ النورسي عدم تنقية الفكر الصوفي وما علق به من شوائب " وخروجه عن ضوابط الشرعية الصحيحة التي تحفظ للإنسان توازنه واستقامته، إلى مظاهر من السلبية والانحراف والرهبانية "[١] نفي عن نفسه أن يكون شيخاً صوفياً يمثل هذا الاتجاه من الفكر المنتسب للتصوف.

لأنه يرى " أن الخلاص من الآثام وتطهير النفس الإنسانية من أدران الفساد لا يتم في الإسلام باعتزال الحياة الاجتماعية، وإنما يكون باحترام النفس، فيقول:-

" ومحبتك لها- أي إشفاقك عليها- والجهد في تربيتها وتزكيتها ومنعها عن الأهواء الرذيلة تجعلها منقادة إليك، فلا تسيرك ولا تقيدك بأهوائها، بل تسوقها أنت إلى حيث الهدى دون الهوى "[٢]

إن التربية الروحية في فكر النورسي قائمة أساساً على تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، في الدعوة إلى بيان سبل الاستقامة والسلوك الموزون في الحياة، انطلاقا من قوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا}[٣]

وقوله عليه الصلاة والسلام " هلك المتنطعون، إن لبدنك عليك حقاً وإن لأهلك عليك حقاً "[٤]،[٥]

والقارئ " لرسائل النور " يلحظ أن النورسي أراد بخطة التجديدي والواقعي أن يجدد حب الله في النفوس الخامدة، والقلوب الهامدة، التي تلطخت بحب الشهوات وما تؤدي إليها من بهارج الحياة، وهذا لا يعني قتل الحياة والمادة، ولكن أن يستقيم كيان الإنسان ويتوازن في صراع الحياة حتى يحافظ على إنسانيته ولا يسقط في مستنقع الحيوانية الهابطة، كل هذا وفق نظرة شمولية تدفع الإنسان إلى الحركة والبناء، وتبعده عن السلبية والتواكل

---

(١) المرجع السابق نفسه، ص٦٧٥، ٦٧٦.

(٢) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص٧٧١.

(٣) سورة الشمس: آية رقم (١٩).

(٤) حديث شريف: رواه مسلم في صحيحه، وأبو داود في سننه.

(٥) د/ محمد الصمدي: تجديد التصوف عند النورسي، مؤتمر العدالة، ص٦٧٥، ٦٧٦. بتصرف.

وحياة الاستسلام والجبر.

" لذا دعا النورسي أقطاب التصوف المخلصين المتنورين إلى الاندماج في الحياة الإسلامية المعاصرة، والبعد عن كل انزواء أو تقوقع قد يقود في النهاية إلى نزعات طائفية أو عنصرية تستغل أبشع استغلال من طرف الدوائر الاستعمارية لتمزيق الصف الإسلامي الواحد ٠

هذا بالإضافة إلى أن الطرق الصوفية في هذا العصر لا تستطيع أن تقف أمام قوة الهجوم المشكك في الإسلام، لأنها تعتمد على التجربة الذاتية، ولا تعتمد في إدراك الحقائق على البراهين المنطقية والحجج العقلية والأدلة العلمية التي هي صفة هذا العصر "[1]

ورغم قيمة التجربة الصوفية فإنها لا تعتبر مصدراً مناسباً من مصادر المعرفة التي يمكن أن تواجهه اكتساح الحضارة الغربية المادية المعاصرة ٠

فهذا العصر في نظر النورسي " ليس بعصر التصوف وطريقه، وإنما عصر إنقاذ الإيمان "[2]

كما أن الطريق الصوفي طريق صعب وطويل ومحفوف بالمخاطر، ومن ثم فهو طريق غير مأمون، إذ قد ينتهي ببعض سالكيه إلى الضلال والخسران.

ويأخذ النورسي على التصوف انحراف بعض الصوفية المعاصرين الذين قادوا الأجيال إلى الركون والسكون تحت مظلة السير إلى الله تعالى بلا عودة، وهم في هذا يخالفون نهج السابقين من الأولياء الربانيين الذين كانوا يسلكون الطريق إلى الله من أجل العودة إلى الأرض وهم أكثر إيماناً وقوة وعزماً وإقداماً في القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومثل هذا النهج لا يصلح لمواجهة المخاطر التي يواجهها الإسلام في هذا الزمان من الإلحاد والزندقة والفوضى والأوهام وليس يجدي تجاه هذه المخاطر إلا الاعتصام بحقائق

---

(١) د/ محمد الصمدي: تجديد التصوف عند النورسي، مؤتمر العدالة، ص٦٧٧، ٦٧٨.

(٢) بديع الزمان النورسي: الملاحق، ص٢٨ وانظر الفصل الرابع من هذا البحث (المعرفة في فكر النورسي) عن موقف النورسي وتقييمه للمعرفة الصوفية.

القرآن الكريم "[١]

(١) أ.د/ أحمد محمد الجلي: أعمال مؤتمر العولمة، ص٢٤٣. وانظر. بديع الزمان: الملاحق، ص٣٤٤.

موقف النورسي من نظرية وحدة الوجود

كان النورسي واعياً تمام الوعي بتسرب النظريات والحلولية والاتحادية والإشراقية والغنوصية إلى التصوف الإسلامي النقي الملتزم بكتاب الله وسنة رسوله، فحاول تصحيح مقولاته وفضح اتجاهاته المنافية لروح القرآن والسنة النبوية بغية الوصول بالمجتمع المسلم إلى نظام أخلاقي متكامل ومتوازن "[1]

لهذا وجه النورسي نقداً خاصاً لأصحاب وحدة الوجود، وحذر من قراءة كتبهم وأتباع مناهجهم لأنها مناهج مخالفة لمنهج القرآن، وخص من بينهم " محي الدين بن عربي " الواضح الحقيقي للنظرية في إطارها الإسلامي.

ويتمثل نقد النورسي للنظرية وأصحابها فيما يأتي:-

إن النظرية تقود إلى إنكار الموجودات، وهو أمر مخالف لتعاليم الإسلام وقيمة، فابن عربي – كما يقول النورسي – يقول: " لا موجود إلا هو " لأجل الحصول على الحضور القلبي الدائم أمام الله سبحانه وتعالى حتى وصل به الأمر إلى إنكار الموجودات •

وهناك آخرون قالوا: " لا مشهود إلا هو" وألقوا ستار النسيان المطلق على الكائنات واتخذوا طوراً عجيباً "[2]

وهذه النظرة – كما يقول النورسي – لا تخلو من خطر، إذ أن مباديء الإيمان تقرر موجودات لا بد على المؤمن أن يقول بها، منها وجود الآخرة.. فالإيمان بالآخرة لا يحتمل أن يقال بخيالتها •

لذا وجب التحفظ – كما يحذر النورسي – في فهم مسألة وحدة الوجود..

وإلى ذلك فإنه يوصي " صاحب هذا المشرب ألا يصحب معه هذا المشرب، وألا يعمل

---

(١) بديع الزمان: المكتوبات،ص٢٢٤، ٢٢٥. وانظر د/ محمد الصمدي: أعمال مؤتمر العدالة، ص٦٨٣. بتصرف

(٢) أ.د/ أحمد محمد الجلي: النورسي وتجديد دراسات العقيدة، مؤتمر العولمة والأخلاق، ص٢٤٣. بتصرف.

بمقتضاه عندما يفيق من عالم الاستغراق والنشوة، ثم إن عليه ألا يقلب هذا المشرب القلبي والوجداني والذوقي إلى أسس عقلية وقولية وعلمية، وإلا أوهم نفسه وغيره بالمادية والطبيعية والوقوع في التحلل والابتعاد عن حقيقة الإسلام "[١].

ويبين النورسي أن " هذا المسلك – وحدة الوجود – ليس هو أرفع المراتب الإيمانية، ولا هو بمسلك حقيقي، وإنما هو مشرب أهل السكة والاستغراق وأصحاب الشوق والعشق "[٢]

كما أن النظرية أو المشرب أو النزعة أو الحال – كما فضل النورسي أن يسميها – مرتبة ناقصة، ولكن لكونها مشربة بلذة وجدانية ونشوة روحية، فإن معظم الذين يحملونها أو يدخلون إليها لا يرغبون في مغادرتها فيبقون فيها، ظانين أنها هي المرتبة الأخيرة التي لا تسمو فوقها مرتبة ولا يطالها أفق "[٣]

لقد كان النورسي يدرك مخاطر الإغراق في القول بمذهب وحدة الوجود، إذ أدرك المخاطر التي تتوارى خلف هذا المنزع، وكان يسيراً على الطبيعيون الذين ألهوا الطبيعة أن يقتنصوا الأبرياء والسذج ممن تطرقتهم أفكار وحدة الوجود من فهم أو استيعاب، فيستدرجونهم إلى الوقوع في مطب الشرك، وأن يخاطبوهم قائلين: " نحن وأنتم سواء، نحن أيضاً نقول هكذا ونفكر هكذا ونرى في الطبيعية مجلي ألوهيتنا بل حقيقتها.. "[٤]

علماً أنه لا يوجد مشرب في العالم بعيد عن منهج الماديين وعبدة الطبيعية من مشرب "وحدة الوجود"، ذلك لأن أصحابه يؤمنون بالله إيماناً عميقاً إلى درجة يعدون الكون وجميع الموجودات معدوماً بجانب حقيقة الوجود الإلهي، بينما الماديون يولون الموجودات

---

(١) بديع الزمان النورسي:أنوار الحقيقة، ترجمة إحسان قاسم، ص٧٣، سوزلر – القاهرة،٢٠٠٦م. ، وانظر د/ عشراتي سليمان: النورسي في رحاب القرآن:ص١٤٨، ١٤٩ .

(٢) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص٦١.

(٣) أ.د/ أحمد محمد الجلي: مؤتمر العولمة والأخلاق، ص٢٤٣. وأنظر، بديع الزمان: المكتوبات، ص١٠٥.

(٤) د/ عشراتي سليمان: النورسي في رحاب القرآن:ص١٤٩ وانظر بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ص٥٨٠.وانظر ص١٠٦، ٤٢٥، ٥٧٩.

من الأهمية إلى حد أنهم ينكرون معها وجود الله تعالى.... فأين هؤلاء من أولئك ؟ "[١]

وهنا نلحظ أن النورسي لم يخرج أصحاب مذهب وحدة الوجود من دائرة الإيمان والرمى بهم في حظيرة الكفر، بل تعامل معهم بقدر ما معهم من إيمان حتى لا يكون عوناً للشيطان عليهم ولهذا نجد أنه يعترف بأيمانهم العميق بالله رغم مآخذه عليهم ٠

بل ويعترف بأن أبن عربي مهتد ومقبول، ولكنه ليس بمرشد ولا هاد أو قدوة في جميع كتاباته، ويعلل بأن سبب ذلك لأنه، يمضي غالباً دون ميزان في الحقائق، فيخالف القواعد الثابتة لأهل السنة، ويفيد بعض أقواله- ظاهراً – الضلالة، غير أنه بريء من الضلالة، إذ الكلام كفراً ظاهره، إلا أن قائله لا يكون كافراً "[٢]

وهنا نلمس أن النورسي رغم اعتراضه ونقده لمذهب وحدة الوجود، فإنه لم يتعرض لواضعه الحقيقي بأي تجريح، بل نراه ينفي عن أبن عربي الكفر، ويرى أنه بريء من الضلالة.

ولكن رغم دفاع النورسي وثنائه المدفوع بأدب العلماء الأتقياء عن ابن عربي فإن هذا لم يثني النورسي أن يعلن: " أن منزلة الإيمان القرآني أعلى وأسنى من منزلة القبس الشهودي، ذلك لأن الانصياع لتقريرات الله عز وجل من خلال منطوق كتابه العزيز أولى من تحسس الإيمان من خلال الإستغراقات الروحية التي قد لا يسلم متعاطيها من زلل ٠

لهذا يقول النورسي: " إن درجة الشهود أوطأ بكثير من درجة الإيمان بالغيب...وميزان جميع الأحوال الروحية والكشفيات والأذواق والمشاهدات إنما هو دساتير الكتاب والسنة السامية وقوانين الأصفياء والمحققين الحدسية "[٣]

---

(١) بديع الزمان النورسي: أنوار الحقيقة ص٧٥، ٧٦ سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٦م.

(٢) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص٤٤٥ .وانظر.ص٥٢- ٥٦، ٦١- ٦٥، ٤٣٣- ٤٤٥ .

(٣) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ص١٠٥ وانظر.د/ عشراتى سليمان:النورسي في رحاب القرآن،ص ١٤٩.

موقف النورسي من مفهوم الولاية

لقد أسس القرآن الكريم مفهوم الولاية وعرضه عرضاً واضحاً جلياً يقوم على الإيمان والتقوى والإخلاص والمحبة والهداية والتأييد والنصرة من الخالق، وبهذا جاءت آيات القرآن في قوله تعالى {أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُون * الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ} [1] وقال تعالى {اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ}[2] إلى غير ذلك من الآيات التي ربطت بين الطاعة والتقوى واللجوء إلى الله، وبين تأييد الله لأوليائه .

وقد حدد " التستري " الولاية على سبعة أصول هما: التمسك بكتاب الله، والإقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم، وأكل الحلال، وكف الأذى، واجتناب الآثام، والتوبة، وأداء الحقوق"

إلا أن مفهوم الولاية هذا قد اعتراه انحراف، بلغ ببعض الغلاة من المتصوفة إلى القول بأفضلية الولي على النبي .

ولقد سجل أبو حيان في "البحر المحيط" هذا الانحراف بأفضلية الولي على النبي بما جرى لموسى مع الخضر عليهما السلام، على أن الخضر أفضل من موسى،.. واستدلوا بقول أبي يزيد "خضت بحراً وقف الأنبياء بساحلة " وهذا كله من ثمرات الرعونة والظلمة من النفس.

ولما كانت هذه الدعوى ذات صلة وثيقة بالعقيدة، فقد حرص النورسي على أن يكشف عن هذا الانحراف العقدي وما يتطلبه من أدلة مقنعة.

وقد ذكر النورسي في" المكتوب التاسع والعشرين " أن من مزالق بعض الصوفية ممن لا يتبعون السنة النبوية على الوجه الصحيح، هي اعتقادهم بأرجحية الولاية على النبوة " [3]

---

(١) سورة يونس: آية رقم (٦٢).

(٢) سورة البقرة: آية رقم (٢٥٧).

(٣) د/ فردوس أبو المعاطي: أعمال مؤتمر العدالة، ص٦٦٩، ٦٧٠.وأنظر / بديع الزمان: المكتوبات/ ص٥٨٨.

ثم يكشف النورسي أن دعوى بعض سالكي التصوف- من غير أهل الحقيقة- بأفضلية الولاية على النبوة، مصدرها ومنبعها هو الوهم الذي يستحوذ عليهم، حيث أن " ما يتوهمونه بأن ظلال مقامات الولاية ونماذجها المصغرة كأنها هي المقام الحقيقي والكلي والأصلي " (١)

ولزوال هذا التوهم يفرق النورسي بين تلقي النبي للعلوم مباشرة عن الله، وبين انطباع بعض المعارف في قلب الولي، بمثال من يتلقى نور الشمس بواسطة مرآة فيقع له من النور الساقط على المرآة بقدر سعة المرآة..." (٢)

ومن هنا نرى أن النورسي يرفض ما يذهب إليه بعض المتصوفة من تفضيلهم الولاية على النبوة ويؤكد " في الكلمة الرابعة والعشرين والكلمة الحادية والثلاثين من كتاب الكلمات " سمو النبوة على الولاية، وخفوت ضوء الأخيرة أمام نور النبوة " (٣) وأن مقام النبوة لا يمكن أن يرقى إليه أي ولي من الأولياء مهما كانت قيمته.

ويتفق مع النورسي في ذلك القول الإمام " الطحاوي " معبراً عن اعتقاد أهل السنة فقال: " لا نفضل أحد من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السلام، ونقول نبي واحد أفضل من جميع الأولياء " (٤)

(١) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ص٥٨٩. وانظر أنوار الحقيقة، ص٥٣، ١١٢.

(٢) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص٦٦٩.

(٣) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ص٥٨٨.

(٤) د/ فردوس أبو المعاطي: أعمال مؤتمر العولمة والأخلاق في ضوء رسائل النور، ص ٦٧١. بتصرف.

موقف النورسي من إسقاط بعض المتصوفة للسنة النبوية

يتفق النورسي مع سائر علماء السنة أن أفضل سبيل موصل إلى الولاية هو سلوك نهج السنة المطهرة فيقول: " إن إتباع السنة النبوية المطهرة هو أجمل وألمع طريق موصلة إلى مرتبة الولاية من بين جميع الطرق، بل أقومها وأغناها، والمريد الحق – في نظره– هو المتبع لما تقرره الشريعة، فيلتزمها بحذافيرها، إذ الإتباع يعني تحري المسلم السنة السنية، وتقليدها في جميع تصرفاته وأعماله، والاستهداء بالأحكام الشرعية في جميع معاملاته وأفعاله "[١]

" كما أن آداب الشريعة كما سنها سيد المرسلين، والتي هي ثمرة الوحي، هي أسمى وأعلى من آداب الطريقة التي هي ثمرة الإلهام.. ومن هنا كان أساس الطريقة هو إتباع السنة النبوية "[٢] حيث " أن آداب الطريقة وأوراد التصوف وما يحصل للسالك منها من أذواق، ينبغي أن تكون مدخلاً لأذواق أحلى وأعلى وأسمى، يحصل عليها هذا السالك من أداء الفرائض والسنن "[٣]

ونجد النورسي يصف من يفضلون الأوراد الصوفية على أذكار السنة النبوية بنعوت قاسية بأنهم متطرفين ومتعصبين جداً، فيقول: " إن بعض المتطرفين والمتعصبين جداً للطريقة يرجحون أوراد طريقتهم وآدابها على أذكار السنة النبوية، فيسقطون بذلك إلى منزلق مخالفة السنة النبوية وتركها، في الوقت الذين يظلون متشبثين بأوراد طريقتهم، أي أنهم يسلكون سلوك غير المبالي بآداب السنة النبوية الشريفة فيهوون في الورطة "[٤]

ويؤكد النورسي بعد ذلك أن إتباع السنة والتمسك بها أفضل عند الله من مئات الأوراد الخاصة كما أن سنة واحدة أفضل ألف مرة من آداب التصوف، فيقول " إن إتباع سنة واحدة من السنة النبوية يكون مقبولاً عند الله أعظم من مائة من الآداب والنوافل الخاصة،

---

(١) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ص٥٨١.

(٢) أ.د/ عشراتي سليمان: النورسي في رحاب القرآن، ص١٥٢.

(٣) بديع الزمان النورسي: أنوار الحقيقة، ص٨٣، سوزلر، القاهرة،٢٠٠٦م.

(٤) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ص٥٨٨.

إذ كما أن فرضاً واحداً يرجح ألفاً من السنن، فإن سنة واحدة من السنن النبوية ترجح ألفاً من آداب التصوف "[١]

ونلحظ أن نقد النورسي ورفضه لإسقاط بعض المتصوفة لأوراد السنة وعدم تمسكهم بالسنن النبوية مرجعه لأن ذلك مخالف لقول الله تعالى { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ }[٢]

وقوله تعالى { وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ }[٣]

إذاً فسبب رفضه لأن ذلك مخالف للشرع هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى نلحظ أن من أسباب رفضه لذلك، لأن عدم إتباعهم للسنة أوقعهم في ورطة اعتقادهم بأفضلية الولاية على النبوة .

ومما يؤيد ذلك قول النورسي: " إن الورطة التي يسقط فيها سالكون من الطرق الصوفية ممن لا يتبعون السنة النبوية على الوجه الصحيح هي اعتقادهم بأرجحية الولاية على النبوة "[٤]

إذاً فعدم إتباعهم للسنة وانحرافهم عن المنهج الشرعي الصحيح كان سبباً في وقوعهم في كثير من المزالق والتوريطات.

ولم يكن النورسي واقفاً عند حد الرفض لإسقاط بعض المتصوفة للسنة والأذكار، بل انتقل بموقفه الرافض لكل أمر يخالف العقيدة ويتنافى مع إنسانية الإنسان ويعوق تفاعله مع الكون والحياة.

فنراه يأخذ على بعض المتصوفة إسقاطهم للتكاليف الشرعية فيقول: " إن بعض

---

(١) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ص٥٨٨.

(٢) سورة الأحزاب: آية رقم(٢١)

(٣) سورة الحشر: آية رقم (٧)

(٤) بديع الزمان النورسي: أنوار الحقيقة، مباحث في التصوف والسلوك، ص٨٩.

المتصوفة ممن لم يدركوا تماماً سر الطريقة – في كونها وسيلة وليست غاية بحد ذاتها – قد ينجذبون ويتوجهون إلى ما يفاض عليهم من الكرامات والأذواق والأنوار تلك التي توهب ولا تسأل، إذ يمنحها الله سبحانه تقوية للضعفاء، وتشجيعاً للمتكاسلين، وتخفيفاً من المشقة والسأم – الذي يعتريهم من شدة الإجهاد في العبادة - فينجرون إلى تفضيل تلك الكرامات والأذواق والأنوار على فروض الدين والخدمة تحت لوائه وقراءة الأذكار والأوراد، فسيقطون في هذا المزلق "[1]

ولعلنا نلحظ أن ما بحثه النورسي من مزالق وورطات (كما فضل النورسي أن يسميها) بعض الصوفية، وتسجيل رفضه لهذه الأمور الخارجة عن المنهج الشرعي وفيها مخالفة للعقيدة فهذه الأمور والمزالق هي التي جرت بعض المتصوفة إلى سيادة الفخر والادعاء وإشاعة الشطحات الخاصة بهم، فيقول: " ومن المزالق التي يقع فيها قسم من أهل الأذواق والأشواق من أصحاب الطرق عندما ينصرفون إلى الفخر والادعاء وإشاعة الشطحات وطلب توجه الناس ونيل المرجعيات الدينية، ويفضلون هذه العجالات على الشكر والتضرع والحمد والاستغناء عن الناس، بينما عبودية " محمد صلى الله عليه وسلم " هي أسمى مرتبة في العبودية التي نستطيع وصفها بالمحبوبية أو عبودية المحبة.....

نعم إن عدداً من الأولياء الكبار اضطروا – دون اختيار منهم لغلبة الحال وبشكل مؤقت فقط – إلى الخروج إلى ساحة الفخر والطلب والشطحات .

لذا فلا يجوز إتباعهم اختياراً في حالهم هذه، فهم مهتدون، ولكنهم هنا وفي هذه النقطة بالذات ليسوا قدوة في الهداية .

لذا لا يمكن السير ورائهم والإقتداء بهم "[2]

ثم يبين النورسي أن سر وقوعهم في هذه الورطة هو تعجلهم لكسب منافع ذاتية في الدنيا فيقول: " وهي الورطة التي يتورط فيها قسم من المتعجلين والقاصدين المنافع الذاتية من أهل الطرق من الذين يرغبون في تناول ثمرات الولاية في الدنيا بدلاً من قطفها

(١) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ص٥٨٩.

(٢) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ص٥٩٠.

في الآخرة "[١]

ومن أجل الخروج من هذه المزالق والورطات وغيرها ممن وقع فيها بعض الصوفية فإن النورسي ينصحهم أن يتحصنوا بالإيمان وبالشرع، فيقول:-

"ولإنقاذ أنفسهم من جميع هذه المزالق المذكورة سابقاً، عليهم أن يضعوا أصول الإيمان وأسس الشرع نصب أعينهم ويتخذوها مرشداً دائماً لهم، وأن يخالفوا أذواقهم ومشهوداتهم ويتهموها عند تعارضها مع تلك الأسس "[٢]

(١) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ص٥٩٠.

(٢) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ص٥٩٠.

النورسي ينتصر للطريقة

نلحظ أن النورسي إذا كان قد بحث الكثير من المزالق والورطات التي وقع فيها بعض الصوفية فأن هذا لا يعني رفضه للتصوف، بل نراه " ينتصر للطريقة، إذ يرى فيها مدداً استراتيجياً يفيد في معركة المرابطة والصمود الروحيين ضد احتياجات الغرب المادي، ويرفض النورسي ما يصدره البعض من أحكام في حقها وما يستهدفونها به من طعن وتعطيل.

فلقد أدرك النورسي الوظيفة الخلقية للطريقة وإسهامهم الروحي الفعال في تعضيد التوجه الإسلامي المعاصر. "[1]

ويرى النورسي أن للتصوف مميزات عديدة لا يمكن تجاهلها، فيقول: " إن ما جاءت به الشريعة من حقائق الأحكام، فإن الطريقة برهان على أحقية تلك الأحكام وعلى صدورها من الحق تبارك وتعالى بما استفاضت منها واستفادت بكشفياتها وأذواقها "[2]

ورغم أن النورسي لاينفي النقص عن أهل الطريقة، فأنه يثبت في الوقت نفسه قيمتها الفعالة، على الرغم مما يشوبها كثقافة وإجتهادات روحية من قصور أو ضعف يجسده بعض الأتباع الذين ابتعدوا بمذاهبهم عن جوهر العقيدة، أو أولئك الذين انتسبوا إليها تضليلاً ومكراً وأطلقوا على أنفسهم اسم الطريقة كيداً للإسلام •

لقد كان دليل النورسي على أهمية الطريقة، ذلك الدور الذي ظلت تلعبه باعتبارها وسيلة تآخي المسلمين وواسطة جمع وتقريب بينهم، إذ أن الطريقة هي في مقدمة الفعاليات الإيمانية التي توسع من دائرة الأخوة الإسلامية، وتبسط لواء رابطتها المقدسة في أرجاء العالم الإسلامي.

ويذكر النورسي لنا بعض فوائد الطريقة في "التلويح التاسع من المكتوبات" قائلاً:-

" إن الطريقة سبيل ليغدو المرء مؤمناً حقاً، ليسموا إيمانه ليبلغ درجة عين اليقين، وتهتم بالقلب الذي إذا صلح صلح الجسد كله •

---

(١) د/ فردوس أبو المعاطي: العدالة والتصوف، مؤتمر العدالة،ص٦٧١. بتصرف.

(٢) بديع الزمان: المكتوبات،ص٥٧٣.

وأيضاً من أهدافها وفوائدها: هي أن يتحول أداء المرء للتكاليف الشرعية إلى نوع من التمتع بالعبادة...."[1]

ورغم ما قيل عن بعض الطرق الصوفية من مزالق وقعت فيها نتيجة ابتعادها عن المنهج الشرعي ومخالفتها لبعض أمور العقيدة، فإن التاريخ يسجل بأحرف من نور أن التصوف الصافي المتبع لمنهج الشرع كان وما يزال أحد العلامات المضيئة في تاريخ الإسلام.

ومما سجل العلماء عن دور التصوف، أنه كان سبباً في انتشار الإسلام في كثير من البلدان وكان درعاً واقياً ضد أي اعتداء على بلاد المسلمين ٠

هذا بالإضافة إلى تفعيلهم لدور التضامن الاجتماعي والمؤاخاة الإسلامية، فالنورسي نفسه لولا الزوايا والتكايا الصوفية ما أستطاع أن يتعلم حرفاً واحداً، بل أن النورسي ذاته يقر بفضل علماء التصوف في عصره ويشهد بفضلهم ومكانتهم ٠

(١) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ص ٥٧١، ٥٩٧. وانظر. د/ فردوس أبو المعاطي: العدالة والتصوف، ص٦٧١.

النورسي ورؤيته التجديدية للمنهج صوفي

" بعد أن حدد النورسي موقفه من الصوفية والتصوف، والمتمثل في رفضه لنظريات التصوف الفلسفية كالحلول والاتحاد ووحدة الوجود ووحدة الشهود "[1] قدم النورسي طريقاً آخر أكثر أماناً وأيسر مسلكاً، بدلاً من طريق التصوف الضيق الخطر الذي لا تؤمن عواقبه" فيقول:- " للوصول إلى الله سبحانه وتعالى طرائق كثيرة وسبل عديدة، ومورد جميع الطرق الحقة ومنهل السبل الصائبة هو القرآن الكريم، إلا أن بعض هذه الطرق أقرب من بعض وأسلم وأعم • وقد استفدت من فيض القرآن الكريم بالرغم من فهمي القاصر، طريقاً قصيراً وسبيلاً سوياً هو:- طريق العجز، الفقر، الشفقة، التفكر.

نعم إن العجز كالعشق طريق موصل إلى الله، بل أقرب وأسلم، إذ هو يوصل إلى المحبوبية بطريقة العبودية.

والفقر مثله يوصل إلى اسم الله "الرحمن.

وكذلك الشفقة... إذ هو يوصل إلى اسم الله "الرحيم".

والتفكر.... إذ هو يوصل إلى اسم الله "الحكيم".

فهذا الطريق عبارة عن أربع خطوات فحسب، وهو حقيقة شرعية أكثر مما هو طريقة صوفية

ولا يذهبن بكم سوء الفهم إلى الخطأ...، فالمقصود بالعجز والفقر والتقصير إنما هو إظهار ذلك كله أمام الله سبحانه وليس إظهاره أمام الناس.

أما أوراد هذا الطريق القصير وأذكاره فتنحصر في أتباع السنة النبوية... والعمل بالفرائض ولاسيما إقامة الصلاة باعتدال الأركان، والعمل بالأذكار عقبها، وترك الكبائر، أما منابع هذه الخطوات فهي من القرآن الكريم "[2]

ومن خلال ما سبق يتضح أن الطريقة التي حدد النورسي خطواتها ومراتبها الأربع

---

(١) أ.د/ أحمد محمد الجلي: النورسي وتجديد دراسات العقيدة، ص٢٤٦.

(٢) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ص٥٩٤،٥٩٥.

تستقي منابعها من القرآن والسنة، ويؤكد على أهمية التكاليف الشرعية.

ومن هنا يمكن القول أن التصوف عند النورسي هو وسيلة لفتوحات ربانية في قرأة القرآن ووسيلة لكشف تجليات الحقائق القرآنية، وليس معبراً للشطحات والادعاءات، أو إعدام الكائنات وسجنها.

" فالنورسي يعتبر التصوف مرحلة من مراحل الارتقاء الإيماني وليس قمة هذا الارتقاء وثمة درجة أعلى منها وأسمى هي درجة التلقي عن القرآن الكريم مباشرة...

ومن ثم أعتبر القرآن الكريم هو الأستاذ والشيخ والإمام الذي ينبغي للمسلم أن يستمد منه الهمم والإمداد " (١)

" وعلى هذه الشاكلة يؤسس النورسي لمدرسة إيمانية صلبة، تقوم على روح الإنصاف والنصيحة والإخلاص والرجوع إلى التصوف إلى ينابيعه الأولى من أجل صياغة جديدة لبنية الإنسان المسلم وإعادته إلى التوازن القرآني الذي فقده طوال عصور الانحطاط، وأزداد مع بداية احتكاكنا بالحضارة الغربية " (٢)

وخلاصة القول:-

أن النورسي قام بعملية مراجعة كبرى لرصيد الأمة من العقيدة وفق نظراً شمولية وتخطيط هادئ، فلاحظ أن التصوف الذي كان قائماً على تربية الروح وتطهير النفس الإنسانية، وتجسيد القيم الإسلامية الرفيعة، أصبح في العصور المتأخرة أسرع الميادين في الثقافة الإسلامية تعرضاً للانحلال، وعاملاً من عوامل التخلف وأصبح بعض دعاة التصوف معاول للانحراف والهدم، واصطباغ الدين بصبغة الجهل والتخريف، وتفضيلهم التقليد على الاجتهاد والابتكار، والاتجاه نحو الشعوذة والتدجيل، فكانت النتيجة أن يرتمي الجيل الجديد من الشباب المسلم في أحضان الثقافة المادية العلمانية.

بل إن بعض الطرق الصوفية، تحولت في أغلب الأحوال، إلى مراكز لابتزاز أموال

---

(١) أديب إبراهيم الدباغ: مطارحات في المعرفة الإيمانية ص٣٤.، مركز الكتاب للنشر، ١٩٩٧

(٢) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ص٥٧٣.

الأتباع والمريدين واستعبادهم، وإلى أبواق لمحاربة ما تبقى من العلوم العقلية والعلمية وأضحى بعض المتصوفة يتجاوزون المنهج والمفاهيم، فأصبحوا ينزلون مفاهيم الفن الصوفي منزلة مفاهيم الوحي، التي سرعان ما تتحول فيما بعد، إلى مفاهيم متأخرة على المفاهيم الصوفية، وهكذا فإنهم:-

- أنزلوا المجاز منزلة الحقيقة وقدموا المجاز عليها.
- وأنزلوا الولاية منزلة النبوة وقدموا الولاية عليها.
- وأنزلوا الباطن منزلة الظاهر وقدموا الباطن عليه.
- وأنزلوا الأوراد الصوفية منزلة الأذكار السنية وقدموا الأوراد عليها.
- وأنزلوا الإلهام منزلة الوحي وقدموا الإلهام عليه.
- وأنزلوا الكرامات منزلة المعجزة وقدموا الكرامة عليها.

لمثل هذه المواقف وغيرها، انبرى النورسي ليبرهن على عكسها، وهذا ما جعله يؤكد مراراً أنه ليس برجل تصوف، وأن رسائله تختلف عن كتب الصوفية والأولياء السابقين، ولكنها هي شرح لحقائق القرآن.

كما أنه بذل كل مساعيه من أجل اكتمال حرية الإنسان المسلم، عدم استعباد الفرد للفرد... بأن لا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، وذلك من خلال رفضه ونقده لفكرة فناء المريد في الشيخ، وهذا ما جعله يستبعد أن تكون العلاقة بينه وبين أتباعه وطلابه من باب العلاقة بين الشيخ والمريد، لأن الشيخ لا يملك الحق ولا اليقين، وإنما الحق واليقين في البرهان.

وهكذا قتل النورسي الصنميات التي أحاطها الإنسان بالإنسان ليجعلها في البرهان كما أنه أزال فكرة تقديس الأفراد، من أجل ألا يسلب أحدنا حرية الآخر ويجعله أسيراً له، ومن أجل تفعيل دور العقل للوصول إلى معرفة الله، بعيداً عن الشطحات والخيالات التي قد يمسك بزمامها الشيطان فيردي صاحبها في هاوية الكفر.

ولهذا فإننا نستطيع القول أن أبرز دوافع النورسي لمعالجته للتصوف أمرين:-

- تحرير الإنسان من رق الإنسان.

- دافع معرفي.

ومن أجل تأسيس مذهب في السلوك، بنى النورسي منهجاً معرفياً جديداً يقوم على القرآن والسنة، كي يتحرك الإنسان بخطاهم، وهو منهج يتحد فيه العقل والقلب معاً.

وهذا المنهج هو أسلم وأعم، وهو مستفاض من فيض القرآن ويمثل طريقاً قصيراً وسبيلاً سوياً من أجل الوصول لمعرفة الله، وهو:

طريق العجز... الفقر... الشفقة... التفكر